

## العنوان: "تموز" فصلاً من "رواية بيروت" لألكسندر نجار

الكاتب: حنان عاد، ألكسندر نجار

ساحة البرج هي، وساحة الشهداء أيضاً، وأيضاً وخاصة ساحة الحرية. في أسمائها الثلاثة رمزية وطنية ساطعة: البرج مرادف محتمل للقوة والصمود. الشهادة حب الأوطان حتى افتدائها، والحرية رمز للأوطان المعافاة والأبيّة و"النظيفة". أنها اليوم حقاً ساحة القوة والشهادة والحرية، لذا تبدو يوماً فآخر سائرة نحو استحقاق ربيعها، أي ربيع بيروت، ربيع لبنان، ربيعنا جميعاً. وهذه الساحة التي يعيد شبابها الآن كتابة تاريخها النير العظيم، كان لها حضور في "رواية بيروت" بالفرنسية لألكسندر نجار، الصادرة لدى دار "بلون" الفرنسية. وهنا ترجمة لأحد فصولها تحت عنوان "تموز"، فيه يتحدث الراوي الصحافي عن لقائه الصحافي المرموق "التموزي" فؤاد سليمان وما دار بينهما حول ساحة الشهادة والحرية.

"تموز"

بين الصحافيين الناطقين العربية، كان ثمة شخص أقدّره في صورة خاصة. كان اسمه فؤاد سليمان. كان ذا وجه شاحب، نحيل، وأنف أفتى، وحاجبين أشعثين وعينين لامعتين جداً. في أعمدة جريدة "النهار" كان يصب غضبه، يدعو الى التمرد، يدافع عن الشعراء والمحرومين. مقالاته الموقعة باسم تموز كتبت بريشة لاذعة، في أسلوب متقد الفكر، حاد. ذات يوم، وأنا احتسي كأساً في قهوة الجمهورية، لمحنته يدخل متأبطاً جريدة. اقتربت منه معرّفاً بنفسي ودعوته الى احتساء كأس معي. لّبي دعوتي في فرح.

كان فؤاد سليمان في حياته على صورته في كتاباته متمرداً وصلباً. هل كان فوضوياً (في معنى الثورة على النظام؟) بلا شك: كان ثمة فينيون (صحافي فرنسي عرف بمساندته الشعراء الرمزيين) في هذه الشخصية. في سياق الحديث، تعلّمت ان أعرفه أفضل، أن أؤمن فكره. أثرنا إدانة أنطون سعادة، زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي، الذي حوكم خلال جلسة سرية وأعدم في الثامن من تموز 1949 إثر محاكمة صورية، بتهمة "التآمر ضد النظام والتمرد المسلح"، كذلك الملاحظات في حق غسان تويني رئيس تحرير "النهار" الذي حكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر لانتقاده قضية سعادة: "وكاد الناس لا يعرفون هل كان أنطون سعادة أعدم أم قُتل، وهل ما حصل محاكمة أم مؤامرة!".

قال لي: هذا محزن. القضاة يشوّهون العدالة ولا يابّهون لفضح سلوكهم، يسخرون من حقوق الانسان ولا يتقبّلون ان يُقال لهم هذا. كنا نظن أننا في الحقبة العثمانية!

لدى خروجنا أشار لي بإصبعه الى نصب الباكيتين الذي كان يتصدر وسط الساحة.

— هذه فضيحة! قال متعجباً. تستحق ساحة البرج أفضل من هذه المنحوتة التي ترمز الى الألم والحداد!

— فتحت عيني جيداً لأراقب في صورة افضل النصب الذي انجزه يوسف الحويك. كيف حصل انني لم الاحظه من قبل؟ تلك المنحوتة كانت شكلت جزءاً من مشهد اليومي، حتى انني لم افكر قط في اعادة النظر بحضورها.

ما قاله فؤاد سليمان صحيح: لا يمكن اختزال نضال الحرية في صورة المرأتين تلك، احدهما مسلمة، الاخرى مسيحية، تمسك كل منهما بيدي الاخرى وهما تندبان في ايماء تعزية متبادلة. عام 1948 ادخل صحافي يدعى سليم سليم الى "العصفورية"

لتشويبه هذا النصب الذي رآه رمزاً للنحيب والخنوع.

- اذا لم يرفعه احد من هنا، ساتي بمطرقة لتدميره بنفسي. بذلك عبّر فؤاد سليمان عن سخطه وهو يدوس عقب سيارته.

في اليوم التالي، نشرت "النهار" مقالة عنيفة موقعة باسم "تموز":

"ان مررتم بساحة الشهداء ورأيتم الحجر الكبير الذي زرعه هناك، اغمضوا عنه عيونكم...".

"ان رأيتم في الساحة التي مات فيها أبواكم على اعواد المشانق، صخرة كئيبة، جامدة، فلا تلتفتوا... هذه مقبرة".

في 16 تموز 1951، اغتيل رياض الصلح في عمان على ايدي كومندوس تابع للحزب السوري القومي الاجتماعي. هذه الجريمة اغرقت لبنان في الوجوم. في مقالة نشرت في "لوريان" تكريماً للفقيد، كانت لجورج نقاش هذه الكلمات: "لا يكفي القول انه في تشرين الثاني 1943 كان ينبغي للمبارزة الفرنكو - بريطانية انتاج الاستقلال اللبناني. كان ينبغي ايضاً ان يوجد، في الوقت المذكور، رجلان يجرؤان على قول "لا" التي لا يجرؤ احد على قولها. كان رياض الصلح احد هذين الاثنين. وحوّل، اذن، مصيرنا". بعد خمسة اشهر، في 15 كانون الاول، اسلم فؤاد سليمان الروح في الغرفة 314 في مستشفى الجامعة الاميركية، مصروعاً بمرض عضال. لم يكن عمره تعدى التاسعة والثلاثين.

بعد ثمانية اعوام، في 6 ايار 1959، دعيت من بلدية بيروت لازاحة الستار عن نصب جديد للشهداء. بدلاً من المرأتين المنتحبتين، اربعة تماثيل برونزية للفنان الايطالي مازاكوراتي. وقوفاً على صخرة، الحرية تلوح بيد بمشعل، وتحتضن بالاخري فتى يرمز الى الجيل الجديد. وعند الاقدام، شهيدان ينهضان. تذكرت "تموز". المفارقة انه ربح معركته.

التاريخ: 28-04-2002 رقم العدد: 21246 الصفحة: 13 العمود: 1

## العنوان: إيليا حريق يتذكّر شبابه في الحزب القومي

### بين ضهور الشوير ورأس بيروت

الكاتب: أبي سمرا محمد

محمد أبي سمرا في لقاءين اثنيين قمنا بتسجيل فصول من ذكريات المؤرخ والباحث اللبناني إيليا حريق المقيم في الولايات المتحدة الاميركية، استعاد خلالهما محطات من فتوته وشبابه في الحزب السوري القومي الاجتماعي في بلدته ضهور الشوير والجامعة الاميركية في بيروت، في الاربعينات والخمسينات من القرن المنصرم. أما فصول خروجه على عقيدة هذا الحزب فسوف يرويها الاحد المقبل في اطار استعادته محطات من حياته الفكرية بين لبنان واميركا. -1- حين ولدت عام 1934 في ضهور الشوير، كان العالم يعيش خائفاً ومضطرباً على وقع اخبار الحرب العالمية الثانية. كان والدي موظفاً صغيراً في "الريجي" في بيروت، وعائلتي، حريق، الكاثوليكية، من العائلات الصغرى في البلدة. فهي كانت تتألف من اربع أسر او خمس، بيوتها في الحي الماروني الذي كان سكانه أقلية في بلدتنا ذات الاكثرية الارثوذكسية والكاثوليكية. وميل والدي وانتمائه الى الحزب السوري القومي الاجتماعي في ضهور الشوير، ما كانا ينطويان على خيار فردي او شخصي، قدر صدوره عن بدهاة وتقليد.

وربما كان شأنه في هذين الميل والانتماء شأن غيره من مجاليه واشباهه من حزبي ذلك الزمان. في الاربعينات، حين تفتحت ووعيت، كان الحزب السوري القومي الاجتماعي قوي الحضور في بلدتنا، بلدة انطون سعادة، مؤسس الحزب وزعيمه

وواضع عقيدته، الذي كان عاد من المهجر واقام في بلدته وجعلها من معاقل حزبه. ولا أزال اذكر مشاهد ل"الزعيم" الذي كانت هذه الصفة اسماً علمياً له، يلعب التنس وحوله حراسه في ملاعب مدرستنا التي أقيمت له فيها محاضرات وندوات كثيرة. وفي مقابل ضهور الشوير، معقل "الزعيم" وحزبه، كانت بلدة بكفيا المجاورة حاضرة حضوراً أكيداً في بلدتنا، كمعقل لحزب الكتائب اللبنانية الذي أسسه وتزعمه ابن بكفيا، الشيخ بيار الجميل. والبلدتان اللبنانيتان الجبلتان، ضهور الشوير وبكفيا، المتجاورتان، كانتا تقيمان على تنافس واستقطاب أهليين مدارهما ومحورهما أنهما معقلان لحزبين متنازعين ويتزعمهما رجلان، منبثاهما العائليان في البلديتين المتجاورتين. ثم إن الرجلين يشتركان في أن كليهما من عائلتين اصابتها موجات الهجرة اللبنانية الجبلية المتعاقبة، وعادت أسر وأقسام منهما الى موطنهما لبنان في حقب مختلفة: بيار الجميل عاد واسرته من مصر، وعاد أنطون سعادة من مهجره في اميركا الجنوبية.

## -2-

منذ وقت مبكر يعود الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عاشت بكفيا وضهور الشوير حقبات متلاحقة من الإقبال على الهجرة والتعليم. واذا كانت بكفيا ذات الاكثريّة المارونية، قد اصابت يسراً مادياً وإقبالاً على التعليم، سبقت فيهما جارتها ضهور الشوير التي يكثر فيها الحرفيون، وخصوصاً "المعمرجيين"، فإن موجات التعليم الارشالي لم تتأخر كثيراً في الوصول الى ضهور الشوير التي ازدهرت كمصيف يقصده أهالي بيروت وغيرهم من خارج لبنان. وهذا ما لم تعرفه بكفيا التي اقتصر الاصطياف فيها على أبنائها المقيمين في العاصمة بيروت. كان التعليم الارشالي البروتستانتي هو الاقوى في ضهور الشوير. فبعدما انشأت هذه الارشالية مدرسة كبرى في البلدة، تبعتها الارشالية الروسية في انشاء مدرسة للروم الارثوذكس، اضافة الى وجود مدرسة ارشالية اخرى للروم في بتغرين القريبة. ومن علامات الإقبال على التعليم في بلدتي في تلك الفترة اني كنت اسمع والدي المتواضع الحال يقول لي وإخوتي: "رح اعمل شو ما كان من شان علمكم". ولا أبالغ اذا قلت إن قوله هذا كان لسان حال كثيرين من اهالي البلدة. في سنوات الحرب العالمية الثانية أقلت المدرسة البروتستانتية في ضهور الشوير ابوابها وهجرها المرسلون الذين أعادوا فتحها في اعقاب الحرب وجعلوها مركزاً تعليمياً صيفياً للمسيحيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتي في لبنان وسوريا.

لكن سرعان ما تشكلت من وجهاء البلدة ومعلميها هيئة عملت على انشاء مدرسة نظامية شتوية، داخلية وعادية، في المبنى نفسه، بالتعاون مع ادارتها الارشالية. وفي هذه المدرسة تلقيت تعليمي من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الثانوية التي أنهيتها في مطلع الخمسينات، فتركت مدرستي التي كانت تمنح شهادة "هاي سكول" وتبنت برنامجاً تعليمياً انكلوسكسونياً بالتعاون مع الجامعة الاميركية في بيروت، حيث تابعت تعليمي العالي.

## -3-

ومن وجوه التباين بين بكفيا وضهور الشوير في ذاكرة صباي وشبابي الاول ان حياة اهالي بكفيا كانت على صلة ببيروت أوثق بكثير من صلة اهالي ضهور الشوير. وفيما كانت الفرنسية شائعة على ألسنة فئات واسعة من الناس في بكفيا، فإن الانكليزية كانت هي الحاضرة في ضهور الشوير كلغة للتعليم والتدريس. ويعود هذا الفرق اللغوي والثقافي الى اختلاف التعليم الارشالي الناشط في البلديتين المتجاورتين. فمدارس الارشاليات اليسوعية كانت غالبية في بكفيا، وتكافئها غالبية التعليم الارشالي البروتستانتي في ضهور الشوير. وهذا ما يجد امتداده في إقبال متعلمي بكفيا على متابعة تعلمهم العالي في جامعة القديس يوسف في بيروت، وإقبال الشويريين على متابعته في الجامعة الاميركية في بيروت. ولا يخرج تلقى مؤسسي الحزبين النافذين في البلديتين تعليمهما العالي عن هذه القاعدة التي كان لها دورها في تعزيز حضور الطلاب المنتمين الى حزب انطون سعادة في الجامعة الاميركية في رأس بيروت، وحضور الطلاب المنتمين الى حزب الشيخ بيار الجميل في الجامعة اليسوعية، عند طريق الشام. وحين استعيد اليوم ذكريات تلك المرحلة من حياتي وصورها، أسمح لنفسي معتذراً عن القول إن طلب الترقى والانفتاح الاجتماعيين كانا من سمات الحياة في ضهور الشوير. فالتخالط الطائفي وغياب النعرات الطائفية والانفتاح على الافكار العلمانية والرغبة في التغيير والتقدم، كانت مما ينطوي عليه طلب "الرقى". والمدرسة التي تعلمت فيها كان في قسمها الداخلي طلاب كثيرون من العرب والمسلمين القادمين من سوريا وفلسطين ومن الحجاز. ونحن الطلاب اللبنانيين كنا

نخالط هذه الكوكبة من الطلاب حياتهم في بلدتنا ومدرستنا، من غير ان يؤثر على تخالطنا هذا ويمنعه اختلافهم عنا - نحن الريفيين والجبليين اللبنانيين والمسيحيين من فئات اجتماعية متوسطة ومستورة - في الدين والموطن وفي تحدرهم من منابت عائلية مسورة. وقد ساهمت حركة الاصطياف الناشطة الى جانب الاقبال على التعليم، في مناخ الانفتاح والتنوع والتخالط الاجتماعي في ضهور الشوير التي غذى انتماء الغالبية من اهاليها الى طائفتي الروم اقبالهم على الانتماء الى حزب انطون سعادة، وساهم في قلة حماسهم للفكرة اللبنانية، محور العصيبة الاهلية المارونية التي راح يتصدرها "حزب الكتائب اللبنانية" النافذ في جارتهم ومنافسهم المارونية، بكفيا.

-4-

في السنتين الاخيرتين من تعلمي في ضهور الشوير، لم يعد ميلي الى الحزبية السورية القومية الاجتماعية بلدياً وغوياً على طريقة والدي، بل صار ميلاً عقائدياً يقوم على التثقيف الحزبي وعلى الممارسة والنشاط الحزبيين بين الطلاب في مدرستي التي كان الاهتمام بقضية فلسطين حاضراً بين طلابها. وأهلنا في البلدة لم يعترضوا على حزبيتنا الجديدة هذه، رغم انها كانت تحاول في بعض وجوها ابعادنا مسافة ما من شبكة الروابط الاهلية والعائلية المحلية، وتترع الى إكسابنا شخصية "مستقلة" جديدة على قاعدة التجانس والتراص الحزبيين في بوتقة محورها تشرُّب "طوبى" عقيدة الحزب في حلقات التثقيف والاطر التنظيمية والمسلك اليومي. ذلك ان عماد النشاط الحزبي السوري القومي آنذاك، كان التثقيف العقائدي وجذب عناصر جديدة الى الخلايا الحزبية واجتماعاتها، وتسديد رسوم العضوية الى مالية الحزب، والتماهي مع الطقوس والشعائر المسلكية "المناقبية" المستلهمة من عقيدته. واليوم، استطيع القول إن حزبنا لم يكن حزباً سياسياً، قدر ما كان مدرسة لبث طوبى العقيدة وثقافتها في معزل عن سيولة وقائع الحياة الاجتماعية ومبادلاتها وتنوعاتها الغنية. ولم تكن حال الحزب السوري القومي الاجتماعي في هذا لتختلف عن حال الاحزاب الاخرى ك"البعث" و"الشيوعي" في ذلك الوقت الذي سبق ظهور الحركات السياسية الجماهيرية العريضة التي أطلقتها الموجة الناصرية في ما بعد. لم تكن حزبيتي السورية القومية لتمدني وغيري من شبان ضهور الشوير من الذهاب الى بكفيا للفرجة على احتفالات عيد الزهور ومواكبة الموسمية. واليوم، استطيع القول اني لو كنت من بكفيا لانتسبت على الارجح الى حزب الكتائب اللبنانية في فتوتي وشبابي الاول، وربما الى الحزب الشيوعي الذي كان له، آنذاك، حضور ما في بكفيا. فأقدار الناس وخياراتها الفردية والشخصية ليست منقطعة عن منابته الاجتماعية المحلية. وفي تلك الحقبة من اواخر الاربعينات وبدايات الخمسينات من القرن المنصرم، حين راحت تتفتح لدي وغيري من مجالي أحلام الفتوة والشباب والأمال في التغيير والعيش في عالم أوسع من عالمنا البلدي والمحلي، كان الحزب السوري القومي الاجتماعي ماثلاً في حضوره في ضهور الشوير، فوظفنا طاقاتنا الشبابية فيه. ولا تزال اليوم ماثلة في ذاكرتي مشاهد المواكب الليلية الحاشدة التي كان حزبنا يطلقها بالسيارات في مطع آذار من كل عام من ضهور الشوير الى المصيطبة في بيروت، حيث كان منزل الزعيم الذي أعدم عام 1949، وراح "الرفاق" يتناوبون على حراسة منزله.

-5-

كانت حياتنا آنذاك مليئة بالحماسة والأمال الكبيرة. وربما كان للحصار والمطاردة اللتين تعرّض لهما القوميون السوريون في سوريا ولبنان، بعد إعدام الزعيم، دور في تمثين العصيبة الحزبية التي لايسها شيء من خوف مقيم لم يعد يتيح لها الاسترخاء، فصار النسيج الحزبي كله مشدود الاعصاب ويختزن توتراً و عنفاً. وفي تلك الفترة راح يتزايد عدد القوميين السوريين الفارين من سوريا الى لبنان، ويتكثف النشاط الحزبي التنظيمي والتثقيف العقائدي. والى جانب هذا النشاط المحموم كان الحزب يشجع اعضاءه على الكتابة والدعاية والتنظيم ويغذي حماسهم. فهل كانت أواخر الاربعينات ومطالع الخمسينات لجبلي الذي عاش فتوته وشبابه في أعقاب الحرب العالمية الثانية، شبيهة بحقبة اواسط الستينات والسبعينات للجيل الشبابي الذي تلا جيلي؟ ربما. لكن الحزب السوري القومي الاجتماعي كان بالغ التباين عن احزاب الحركات السياسية التي ظهرت في الستينات والسبعينات. فالعقيدة السورية القومية وما أملتته من طقوس وشعائر حزبية، استلهمت في وجه من وجوها مما أشاعته الحركات والاحزاب القومية الفاشية في اوروبا (المانيا وايطاليا) ما بين الحربين العالميتين، ووصلت اصداءه الى بلدان اميركا الجنوبية، حيث كان هاجر مؤسس الحزب القومي السوري. أذكر من صور حياتنا الحزبية الشبابية وطقوسها طغيان قيم الذكورة والانضباط اللتين

كانتا تتجليان في نزعة شبه ميليشيوية وفي اللباس الخاص والحركات الشعائرية الموحدة والاستعراضات المنظمة، على قاعدة ما كان يسمّى "المناقبية" و"الناموس" الحزبيين. وكان هذا كله يحول بين الحزبي وبين التفكير في موضوعات من خارج العقيدة الحزبية ومناقشتها. فأى فكرة تخرج عن إطار العقيدة كان من الصعب قبولها وتداولها في المناقشات الحزبية. ولا أغالي إذا قلت إن طغيان الذكورية وقيمها في حزبنا كان يتمثل في ندرة الفتيات، بل غيابهن التام، عن أنشطتنا في مدرستنا في ضهور الشوير، وفي "الجامعة الاميركية في بيروت" لاحقاً. والقلة من الفتيات اللواتي أذكر حضورهن في نشاطنا الحزبي في الجامعة، كن في الغالب من بنات حزبيين وسياسيين. وهذا يعني ان انخراطهن في النشاط الحزبي، كان امتداداً لانتمائهن الأسري والبيتي. وحزب الكتائب اللبنانية المناوئ والمكافئ لحزبنا، لم تكن الحال فيه لتختلف كثيراً عما هي عليه الحال في حزبنا. ف"الكتائب اللبنانية" استلهمت ايضاً شعائرها وطقوسها وقيمها من المناخات التي كانت سائدة عشية الحرب العالمية الثانية وفي خلالها وأعقابها. والزي الموحد وطغيان القيم الذكورية واستعراضاتها، وندرة الفتيات، كانت ملامحها بارزة في حزب الكتائب اللبنانية الذي لم تكن عقيدته شديدة الوطأة وثقيلة على المنتمين اليه، شأن ثقل العقيدة السورية القومية على اعضاء حزبنا.

-6-

في الجامعة الاميركية في بيروت التي صرت طالباً فيها عام 1952، ازددت انخراطاً في اجواء الحزب وصرت حزبياً ناشطاً وجلياً وشديد الايمان بالعقيدة السورية القومية. وايماني بالعقيدة هو الذي راح يدفعني الى البحث عن سبل تحقيقها في الواقع الحي والبعيد. وقد يكون برنامج التعليم الجامعي وفصوله في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد، اضافة الى السجلات مع التيارات العقائدية الاخرى في الجامعة الاميركية، مما دفعني الى ذلك البحث. فاذا كانت وحدة سوريا، أمة وشعباً وارضاً، معطى تاريخياً لا يرقى اليه الشك، اي حصلت وتحققت في ازمنة التاريخ الغابرة، بحسب عقيدة الحزب ومقولاته، فكيف يمكن ان نؤكد هذا اليوم؟ وماهي السبل والوسائل الممكنة التي تفضي بحزبنا الى تحقيق عقيدته في انشاء دولة سورية قومية واحدة في العوالم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في هذه البلاد؟ ليس التشكك في العقيدة ما حملني على التفكير في مثل هذه الامور، بل الرغبة الملحة في ايجاد اجابات شافية تؤكد العقيدة وتدعمها وتسعى الى ترسيخها في الواقع الاجتماعي الحي. وهذا ما دفعني الى المواظبة على حضور فصول تعليمية في الجامعة حول اجتماعيات بلدان الشرق الاوسط واقتصادها، وحول التاريخ العربي. والحق ان هذه الفصول التعليمية لم تكن تقدم اجابات شافية او مباشرة عن تلك الاسئلة، قدر تغذيتها الرغبة في البحث والتفكير. لكن اساليب التفكير وطرائقه في تلك الايام، وكذلك التعليم الجامعي وثقافته ومادته، لم تكن تجريبية او اختبارية، بل نظرية وسجالية وعقائدية ومنقطعة عن وقائع الحياة ومعطياتها المباشرة والمائلة. ففي الخمسينات والستينات من القرن المنصرم، كانت الثقافة الحزبية وثقافة التعليم الجامعي، وأحكام المثقفين اللبنانيين والعرب على مجتمعاتهم، كتيبة في معظمتها، ولا تحاول مقاربة الحياة الاجتماعية الفعلية وظواهرها الملموسة. وهي، اي الثقافة واحكام المثقفين، كانت منفصلة عن المجتمعات وشديدة القسوة عليها. فعلى قاعدة مقولات سياسية وثقافية كتيبة قليلة وفقيرة مستقاة من الثقافة الاوروبية، كان المثقفون والحزبيون يحكمون احكاماً مبرمة على مجتمعاتهم، ويعتبرونها متخلفة، لأنها، في نظرهم، تشذ عن القواعد والمقولات النظرية المجردة التي قرأوها في الكتب. وعلى هذا النحو كان معظم المثقفين يصمون مجتمعاتهم بالتخلف والرجعية والفساد والتقهقر، من غير ان يتحققوا من مقولاتهم هذه ويختبروها، ليبينوا كيف هي مجتمعاتهم متخلفة ورجعية ومتقهرة. لذا كان التشنج والبيغائية يسمان سجلات المثقفين والحزبيين. والارجح ان هذه الظاهرة لا تزال قائمة في وجوه كثيرة من الحياة الثقافية اللبنانية والعربية اليوم. ومن الامثلة على ذلك مسألة التعددية الطائفية - الاجتماعية والثقافية في لبنان. فعشية استقلاله وغداته، كان يقال ان لبنان لا يستطيع ان يحكم نفسه بنفسه وينشئ دولة موحدة ومستقلة، لأن تعدديته سوف تفضي به الى التفكك والتفكك والانحلال. واصحاب هذه المقولة أنفسهم، راحوا بعد تحقق الاستقلال وقيام الدولة وانطلاق الحياة السياسية في لبنان يقولون ان البلاد لم يتفكك ويتفكك، او هو غير قابل للتفكك والتفكك، بسبب تعدديته الطائفية - الاجتماعية. فإثبات مقولة ايديولوجية يقولون ان لبنان غير قابل للحياة ولا تقوم له قائمة، لأنه متعدد الطوائف. وحين تقوم الدولة الواحدة ويتحقق التعايش بين طوائفه وجماعاته الالهية، يقولون ان اللبنانيين مجبرون على تعايش لا خيار لهم فيه، والا فإن بلدهم المتعدد مهدد بالتفكك والزوال. وفي الحاليين يعتبرون ان القدر وحده هو الذي يحرك التاريخ وافعال البشر وخياراتهم، غير مدركين ان التعددية وغيرها من الظواهر الاجتماعية ليست معطىً قديراً ثابتاً ومنعزلاً عن افعال البشر

واراداتهم. ذلك ان التعددية ظاهرة اجتماعية تفضي بالمجتمعات الى مصائر متباينة ومختلفة ومتعكسة. فهي تحمل في داخلها اخطار الانشقاق وعدم التواصل والاحتراب. وهي تنطوي ايضاً على احتمال التواصل والتركيب والتعايش، بحسب خيارات البشر وإراداتهم. وفي هذا المعنى ليست التعددية في ذاتها قيمة ايجابية او سينة، الا بحسب الوجهة والخيار اللذين يتبهما البشر في التعامل معها. فالتعددية لا تفضي في الضرورة الى قيام مجتمع ديموقراطي، وهي قد تفضي ايضاً الى الانزلاق الى الديكتاتورية او الفوضى. والامثلة على ذلك في تاريخ لبنان الحديث اكثر من ان تحصى. بطاقة تعريف - ولد ايليا حريق في العام 1934 في ضهور الشوير، وتلقى تعليمه في مدارسها حتى نهاية المرحلة الثانوية. - بين 1952 و 1957 درس العلوم السياسية والفلسفة الاسلامية في "الجامعة الاميركية في بيروت"، وكان عضواً ناشطاً في الحزب القومي الذي انتمى اليه في بلدته ضهور الشوير. - قبل سفره الى لندن عام 1958 لمتابعة دراسته، خرج من الحزب المذكور. ومن لندن سافر الى الولايات المتحدة الاميركية، حيث درس الفكر السياسي والعلوم الاجتماعية في جامعة شيكاغو، وحاز منها شهادة دكتوراه عام 1963. - شكل البحث الذي أنجزه لنيل الدكتوراه علامة مميزة في مجال التاريخ السياسي للبنان الحديث. صدرت الطبعة الانكليزية لبحثه هذا عام 1968، وصدرت طبعته العربية عام 1982 في عنوان "التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث". وفي مقدمة هذه الطبعة كتب حريق إن نيران الحرب الاهلية أودت بالترجمة العربية الاولى لروايته التاريخية عن الحرب الاهلية التي وقعت في لبنان قبل اكثر من قرن مضى. - منذ العام 1964 يدرّس في جامعة إنديانا في الولايات المتحدة، ويجري أبحاثاً حول موضوعات التنمية الدولية. - نشر في الانكليزية ابحاثاً دورية تناول فيها قضايا التنمية الريفية والاجتماعية في كل من مصر وتونس والمغرب التي عاش فيها فترات متفاوتة لاجراء أبحاثه الميدانية. - لم ينقطع عن زيارة لبنان. وفي العام 1968 وضع دراسة ميدانية حول الطبقة السياسية في لبنان ونشرت في عنوان "من يحكم لبنان؟". - صدر له اخيراً "الديموقراطية وتحديات الحداثة بين الشرق والغرب" عن "دار الساقى" في بيروت.

**التاريخ:** 07-1999- **رقم العدد:** 20394 **الصفحة:** 14 **العمود:** 4

## العنوان: أعيديا لانطون سعادة اعتباره بقلم قومي عربي !

الكاتب: سويد ياسين

استمعت، باهتمام كبير، الى كلمات الرؤساء الثلاثة: لحود وبري والحص، بمناسبة الذكرى الخمسين لاستشهاد (او اغتيال) الزعيم انطون سعادة، مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي، وذلك في قاعة الاونيسكو بتاريخ 8 الجاري، فكان اول ما تبادر الى ذهني هو ان الخطأ الكبير الذي ارتكبه الحكم، في لبنان، في السنوات الاولى من استقلاله (عام 1949) يجب ان يصحح، وان ما أعلنته "الدولة اللبنانية" الحالية، بلسان رؤسائها الثلاثة، يبدو كأنما هو "فعل اعتذار" عن ذلك الخطأ. من الواضح ان مبادئ سعادة هي التي تحكم العلاقات بين سوريا ولبنان، في هذه الايام، وذلك لأننا تنبهننا، جميعاً، للخطر الصهيوني الذي نبهنا اليه سعادة قبل سنوات من قيام الكيان الصهيوني بجوارنا، في فلسطين، فكان طبيعياً ان يلجأ لبنان (الضعيف) للتنسيق والتكامل والتعاون، مع الجار والشقيق القوي سوريا، لدرء هذا الخطر ومواجهته. اما حديث سعادة عن "وحدة سوريا الطبيعية" او "وحدة الهلال الخصيب" فهو لا يتعارض مع ايمانه الصريح\* بالكيان اللبناني طالما انه يؤمن بأن الحرية، والديموقراطية هما، وحدهما، اللذان يقرران عودة اندماج هذا الكيان بوطنه الأم سوريا، كما انه لا يتعارض مع ايماننا، نحن القوميين العرب، بوحدة الأمة العربية، طالما ان سعادة يعتبر ان "الأمة السورية" هي "سيف العالم العربي وترسه"، ونحن من المؤمنين بأن استعادة "سوريا الطبيعية" وحدتها، سواء أكان ذلك تحت عنوان "الأمة السورية" أم تحت عنوان "القطر العربي" يظل افضل وأجدي من اي نقاش بيزنطي لا يصل بنا الى أية نتيجة مفيدة، بل إننا من القائلين، بكل صراحة وصدق: وحدوا سوريا الطبيعية، او الهلال الخصيب، وسموا هذه الوحدة ما شئتم، أمة او قطراً، لان المهم هو الوحدة (او الاتحاد) وليست التسمية، (خصوصاً ان الاتحاد أضحي هو المفهوم الواقعي (المقبول؟) لاية وحدة قومية بين الكيانات

العربية). وبعد، هل يقدم الرؤساء الثلاثة، بعد كلماتهم الصريحة والجريئة، في الذكرى الخمسين لاستشهاد سعادة، على المبادرة بإعادة الاعتبار "للزعيم المظلوم"، وفي شكل رسمي هذه المرة، وذلك عن طريق اصدار مرسوم (او قانون؟) يعتبر سعادة شهيداً، وبطلاً قومياً، ويعامل بما يستحقه الشهداء والابطال من إكبار وتعظيم؟ نحن، القوميون العرب، نرحب بهذه المبادرة، ونعتبرها بادرة جريئة من عهد ألى على نفسه ان يبني لبنان الجديد، بلا عقد. \* راجع بيان سعادة الى الشعب اللبناني بتاريخ 6 آذار 1947 لواء ركن سابق في الجيش اللبناني

التاريخ: 11-06-1999 رقم العدد: 20369 الصفحة: 18 العمود: 4

## العنوان: أنطون سعادة في أحد نصوصه المجهولة دعا

### إلى توحيد علم التاريخ العام

الكاتب: داية جان

منذ اعدام انطون سعادة في الثامن من تموز 1949، وتفتيش الباحثين والصحافيين عن انتاجه عملية متواصلة. ورغم قرن على رحيله، فان المقمشين - وانا منهم - ما فتنوا يعثرون على رسائل ومقالات مجهولة او غير منشورة، سواء التي كتبها سعادة قبل 1932، او بعد تأسيس حزبه، ويعود سرّ ذلك الى ان سعادة كان غزير الانتاج رغم ضيق وقته وقصر عمره، اضافة الى ان بعض انتاجه نشر في دوريات لم تكن على لائحة المنقبين. وهكذا رأيتني اعثر، قبل عامين، على مقال مهم ومجهول، كتبه سعادة قبل تأسيسه ل"الحزب السوري القومي"، وتناول فيه كالعادة موضوعاً ثقافياً - سياسياً، ربط خلاله علم التاريخ بالسلام بين الأمم. ولمناسبة مرور نصف قرن على رحيله، وجدت من المفيد اعادة نشر مقال "علم التاريخ وسلام العالم" مع بعض الملاحظات والايضاحات، عله يساهم في امرين جوهريين: اعادة الاعتبار الى الثقافة التي كانت تحتل مركز الصدارة في الحركة القومية الاجتماعية، واحلال صورة سعادة الحقيقية في اذهان خصومه كداعية لقومية اجتماعية انسانية مكان صورة القومي العنصري الشوفيني.

1 - نشر المقال المعنون "علم التاريخ وسلام العالم" في جريدة "المعرض" البيروتية بتاريخ 30 ايار 1931، وقد وضعت كلمة "دمشق" قرب اسم الكاتب (اعيد نشر جزء منه في احد مجلدي "المعرض" اللذين اصدرتهما "دار النهار للنشر" حديثاً) وذلك يعني ان سعادة الذي عاد من البرازيل عام 1930، وامضى بضعة اشهر في لبنان، استقر في دمشق لأكثر من عام بغية تأسيس حزبه. لكن الفترة التي امضاها في عاصمة الامويين لم تثمر سوى مقالات سياسية وثقافية نشرت في جريدتي "الايام" و"ألف باء"، اضافة الى المقال المنشور في جريدة ميشال زكور الذي اصبح صديقاً لسعادة رغم الخلاف العقائدي. اما "الحزب السوري القومي"، فلم يتمكن من تأسيسه الا في بيروت، وتحديداً في حيز الكلية السورية الانجيلية او الجامعة الاميركية.

2 - ظهر المقال قبل عام واحد من ولادة الحزب ورسم مبادئه الاساسية الثمانية والاصلاحية الخمسة. اما المضمون فينسجم مع ما تلاه من انتاج ثقافي - سياسي، باستثناء مقولة رئيسية ومصطلح غير ثانوي. فقد وضع سعادة نزعتي الاقليمية والعنصرية في سلة واحدة مع النزعة القومية. واذا كان رفضه للنزعتين العنصرية والاقليمية طبيعياً ومنسجماً مع نهجه الوحدوي والاجتماعي، فان رفضه للنزعة القومية يبدو مستغرباً، نظراً الى كونها (القومية) المحور الرئيسي الذي دار عليه نهجه الفكري وجهاده السياسي، وباعتبار ان المقولة القومية كانت محورية في انتاجه السابق لتاريخ المقال، اي في العشرينات، فان الاحتمال بأنه كان يقصد القومية التي كانت تتجسد بالفاشية والنازية، غير مستبعد. وفي صدد النزعة القومية، فان سعادة الذي دعا الى القومية السورية، كان يستخدم مصطلح "السوريين" في كل مرة يأتي كلامه على ابناء لبنان وفلسطين

والجمهورية السورية. اما عبارة "السوريون، اللبنانيون، الفلسطينيون" فقد ورثها عن والده الدكتور خليل سعادة، وقد غابت تماماً عن ادبياته منذ تأسيسه الحزب القومي في مطلع الثلاثينات حتى رحيله في اواخر الاربعينات.

3 - ان الدور الثقافي الذي قام به سعادة في اطار دائرة المعارف البرازيلية مجهول تماماً لدى دارسيه ومحازبيه. لذا تغدو هذه المعلومة أحد العناصر التي تضيء على المقال أهمية بالغة.

4 - ان اقتراح سعادة المرفوع الى "المعاهد العلمية السورية" من اجل عقد مؤتمر تاريخي لتوحيد "علم التاريخ العام" يؤكد نزعه الانسانية. وتجلّى ذلك بعد نحو خمس سنوات، حين كرر، في "الخطاب المنهاجي الاول" (1935) وفي رسالته الى حميد فرنجية (1936)، رفضه للشوفينية والعنصرية مؤكداً على المنحى الايجابي الانساني لعقيدته القومية.

5 - والاقتراح الأنف يهدف، في الوقت نفسه، الى انصاف السوريين و"شركائهم العرب"، فيكتب تاريخهم في موضوعية، ويعطى قادتهم، امثال هنييعل، المكانة الرفيعة التي يستحقونها. والجدير ذكره ان سعادة عاد ونوه بالقائد القرطاجي الشهير في احد مبادئ حزبه الاساسية، على اساس انه منارة تراثية عسكرية يجدر بأحفاده الاقتداء بها في معركة المستقبل. و - اما عبارة "السوريون هم خلفاء الفينيقيين وشركاء العرب" التي وردت في المقال، فترادف الكثير من العبارات التي اوردها سعادة خلال الفترة الفاصلة بين انكشاف أمر الحزب في 16 تشرين الثاني 1935 ورحيل المؤسس في 8 تموز 1949، ومنها قوله ب"أمة سورية" و"جبهة عربية"، رغم اصراره على ان سوريا ستكون "سيف العالم العربي وترسه" فان العروبيين اتهموه بالعداء للعروبة والعمل على تجزئة "الأمة العربية". وقد رد عليهم متسائلاً عما اذا كان العالم العربي موحداً لكي يجوز اتهام احد بتجزئته. والواقع ان عبارة "شركاء العرب" المرادفة ل"الجبهة العربية" تؤكد على ان سعادة كان، قبيل تأسيس حزبه وبعد التأسيس، عروبياً.

6 - تبرز من خلال المقال، ومن مقالات سابقة، نزعة سعادة العميقة الى الثقافة بكل عناوينها الرئيسية: القصة، النقد الادبي، الموسيقى، علم الاجتماع، الفلسفة، الدين والتاريخ، ورغم مشاغله الحزبية والمعارك السياسية المتواصلة والعنيفة، فانه لم يكتفِ بتأليف "نشوء الأمم" (علم اجتماع)، و"الاسلام في رسالتيه" (دين)، و"الصراع الفكري في الادب السوري" (نقد ذاتي)، بل حرص على رعاية الثقافة والمتقنين داخل حزبه وخارجه. من هنا سرّ استقطابه للعديد من الشعراء والفنانين والمفكرين، امثال صلاح لبكي ومصطفى فروخ وجورج مصروعة وزكي ناصيف ومحمد يوسف حمود وصليبا الدويهي وفايز صايغ وهشام شرابي وغسان تويني وجورج حكيم. وليس من المبالغة القول، ان احد اهم اسباب ازمة الحزب القومي اليوم هو اهماله الشأن الثقافي في صورة شبه كاملة.

التاريخ: 02-08-1997 رقم العدد: 19810 الصفحة: 13 العمود: 3

## العنوان: ابن المنصف سبق الزعيم في التحذير من خطر الصهيونية

الكاتب: غصن غسان

قلائل، إن وجدوا، وأنا بالتأكيد لست منهم، هم الذين يُنكرون تصدّي انطون سعادة وحزبه للصهيونية. لكنّ ثمة مبالغة عاطفية، أو غلطة تاريخية، في قول قيس الجردي ان سعادة طرح - عام 1925 - "اول انذار من خطر الصهيونية ومشروعها... ("النهار"، 97/5/28). وكان بودّي التعليق على التعليق في الاسبوع عينه، لكنني لم أجد إلا الان ما اعتبره "وثيقة" في هذا المجال. وما كنت أبحث عنه، هو الملحق الأدبي لجريدة "الهدف"، وذلك المقال الذي نشرته عام 1968 بعنوان "صوتٌ عمره 50 عاماً: "اليهود اليهود" للشيخ حنا خير الله - وما لم نقله "الهدف" آنذاك إن تلك السنة تصادف الذكرى الثلاثين لوفاة الشيخ المجاهد، والذكرى الثمانين لولادته. جاء في ذلك المقال، وكلام "الهدف" بين هلالين: "(هذا مقال كتبه المجاهد المرحوم الشيخ

حنا خير الله منذ نصف قرن، فقد ظهر في جريدة "الحاوي" الصادرة في بونس ايرس يوم السبت في 17 آب سنة 1918 وكان شيخنا المجاهد رئيس تحريرها، وكانت أول صرخة منبّهة الى الخطر الصهيوني: "... اليهود اليهود، يا مواطني، أقبِلوا من وراء البحار ومن أطراف المعمورة يؤمون فلسطين البقعة العربية للاستيطان والاستعمار. الصهيونيون، يا أبناء قومنا، في سائر أنحاء العالم حيثما وجدوا، يجمعون الأموال - المقنطرة - ويحشدون الرجال لتملك فلسطين. الغريب آت ليحكم فيكم، وأنتم أبناء البلاد تُطرحون خارجاً، اذا لم تستيقظوا الآن وتقفوا بوجه مطامعه وقفة رجل واحد. إنّ ديارنا، أيها الاخوان، تستصرخ كل عربيّ في بلاد الانبياء ومهبط الوحي، بل العالم أجمع، مستجيبة بنصرء الحق. إنّ الشعب التائه المشتت يستنفد قواه اليوم ليجمع شتاته في بلادكم ومتى - لا سمح الله - فاز بأمنيته يصبح سكان فلسطين بل سكان سوريا (أي سوريا ولبنان) وقسم كبير من قاطني جزيرة العرب شعباً تائهاً لا وطن له ولا حكومة، مطروداً مردولاً مُهاناً أينما توطن، مكروهاً أينما حلّ. أترضى أيها العربي الذي ضُربت بعزّته وأنفته الامثال، وتغنّت بحميته ومروءته وابائه الركبان، أن يحكمك خليط غريب دخيل لا تأتلف اخلاقك مع اخلاقهم ولا عاداتك مع عاداتهم ولا لغتك مع لغتهم ولا تقاليدك مع تقاليدهم؟ أعيدك بالله... لأسمع أصوات أبناء فلسطين وسوريا وكل من تجري في عروقه الدماء العربية الشريفة يقولون: إن للبلاد العربية التي فلسطين أعزّ بقاعها اشبالاً أشاوس لا يبيتون على ذل ولا يصيرون على ضيم ولا يرضون بأن يمتهن شرف قوميتهن ممتهن، كائنات من كان، ولا يتساهلون قط بانشاء حكومة غريبة في عقر ديارهم لتحكم برقاب اخوانهم خصوصاً بعدما لا قوا من جور الطورانين الغزباء كما هو مشهور... كل فرد منا اليوم يفتدي فلسطين بأمواله ودمائه في سبيل القومية وفي سبيل الابناء والأحفاد وكلّ ما نملك. هيا اخواني انهضوا واعملوا. ان الخطر الصهيوني يتهدّد ليس بلادكم بل أموالكم وقوميتمكم. يتهدد شرفكم وعزّتكم، فانفضوا لمحاربتة ومقاومتة. حاربوه بمثل سلاحه، بالاتحاد والتعاضد، بجمع الاموال وحشد الرجال، بالدماء... اليوم اليوم لا غداً تنفع الأعمال وتُسمع الأقوال. البلاد بلادنا والديار ديارنا، والاهل نحن واخواننا واولادنا، ولا نتخلى عن قيد شبر منها لغريب متحكّم، وفينا عرق ينبض بالدم العربي الابي...". يتبيّن مما سبق أنّ "الشيخ" سبق "الزعيم" بسنوات سبع، أقله في هذا المضمار. وأسارع الى القول انني لا أعيد نشر هذه المعلومات تباهاً أو تفاخراً بإبن بلدي - رغم اعتزازي الشديد به، وبموافقه - وإنما لتوضيح نقطة ربما تكون خافية على الكثيرين. وأغتنم هذه المناسبة لتعريف قراء "النهار"، ممن لم يطلعوا على كتاب "ادباء جبيل الراحلون - الجزء الثاني" (منشورات "المجلس الثقافي في بلاد جبيل"، 1993)، على من يسميه كثرٌ، وبحق، "المجاهد الناسك". وُلد حنا خير الله في المنصف، قضاء جبيل، سنة 1888. ويقول ابن شقيقته، يوسف بركات، في الكتاب الأنف الذكر (ص 57-63)، ان أسس في بيروت، عام 1909، مكتبة تحوّلت بسرعة الى "ملتقى الادباء والمفكرين في ذلك العصر... وكان معظم شهداء لبنان في زمن الاتراك من (روّادها) ومن اصدقائه". تعرّض الشيخ حنا واصدقاؤه للملاحقات والمضايقات، بسبب "خطبهم وكتاباتهم ضدّ الحكم العثماني ومناداتهم بالعروبة". فأقفل المكتبة في 1911 وسافر الى بغداد... وببده مشروع جاهز لتحويل هجرة اللبنانيين من المهاجر البعيدة عبر البحار الى العراق... فتفديد (تلك) البلاد من النبوغ اللبناني في سائر الحقول، وبفيد اللبناني من وجوده على مقربة من وطنه". أشعره والي بغداد "بالمرارة واليأس"، فرحل الى الارجننتين عام 1912، حيث أسس في عاصمتها جريدة "يقظة العرب"، داعياً الى الوحدة العربية بقيادة شريف مكة، حسين بن علي. وللأسباب المالية المعهودة، أوقف خير الله تلك الجريدة، وانتقل الى رئاسة تحرير صحيفة "الحاوي"، الأنفة الذكر. "وبسبب مواقفه الوطنية ومقالاته في "الحاوي"، قامت عليه وعلى الجريدة قيامة مؤيدي الاحتلال الفرنسي والبريطاني للبلدان العربية، وهوجمت ادارة "الحاوي". وصودف أن كان الشيخ حنا غائباً، فقتل صاحب الجريدة وأحرقت مكاتبها، فاضطر للعودة الى لبنان عام 1922. قبل عودته، وتقديراً لمواقفه الوطنية وكتاباته الكثيرة عن العروبة والوحدة العربية، منحه الشريف حسين لقب شيخ يتوارثه الابناء عن الآباء. في 1928، رحل الشيخ الزاهد وعائلته من جبيل الى بغداد، ليعرض على صديقه الملك فيصل الأوّل مشروع عه القديم بشأن الهجرة. وعد الملك فيصل بدراسة المشروع جدياً فور عودته من رحلة مفرّرة، لكن وفاته قضت على احلام الشيخ المقعد، فترك المزرعة النموذجية التي أقامها قرب بغداد، وانتقل الى العاصمة حيث أمضى السنوات العشر من حياته القصيرة في الكتابة، وفي استضافة "الحلقات الادبية الرفيعة".

## العنوان: سعادة يخرج عن الوالد الى الامة ومفجر ثورتها

الكاتب: ياغي صبحي منذر

(الى اليسار انطون سعادة مع المودة) استمعت اليك جيداً، وانت تخاطبين باعث نهضة هذه الامة في ذكرى استشهاده في الثامن من تموز، ورأيت في عينيك دموعاً حاولت جاهدة الا تخرج، في الامس قالت والدتك عبارتها الشهيرة: "علمنا "سعادة" كيف نعص على نواجذنا ولا نصرخ من الالم"! حقاً، وكما قلت ان سعادة يخرج عن كونه والدك، ليصبح ابن الامة، ومفجر ثورتها نحو الانتصار العظيم، ويظل موجوداً في ملامحك، وفي ثبات شخصيتك، وفي التزامك الواجب، والنظام. فالايام بعظمة سعادة تأتي من نبوته التي تجسدت في تحذيراته من الخطر اليهودي المتربص بنا، وما نحن فعلاً ضحايا هذا الخطر، في دقه ناقوس الخطر خوفاً من ضياع فلسطين، وما هي فلسطين ضاعت بين الاطماع الصهيونية، وصيبانية من نصبوا أنفسهم في الامس جنوداً للقضية. وما هو جنوبنا اللبناني، وشم اليهود على جسده شكلاً من اشكال حضارتهم القائمة على المجازر والدسائس، والمؤامرات. يا ابنة الزعيم الذي بقي في صحراء الامة "وردة" وأملاً في أفق مظلم، صح ما قاله سعادة في الماضي: "ان أزمناً مليئة بالصعاب تأتي على الأمم الحية فلا يكون لها خلاص منها الا بالبطولة المؤمنة المؤيدة بصحة العقيدة". ففي الثامن من تموز، نهض طائر الفينيق من بين رماده ليعلن الولادة، وتجدد الحياة. في الثامن من تموز كانت معرفتنا ويقيننا ان القلم، والفكر، اقوى من الرصاص، والجهل، والغيباء. تباً لامة أعدمت واحداً من عمالقتها، وصار كابوساً يطارد اولاد الافاعي واللصوص. تباً لمن ظن بأن قتل المفكر، يضع حداً لاشعاع فكره، ونسوا بأن العشب والزهر ينموان فوق ضرائح الشهداء، وان الموت قد يكون طريقاً الى الحياة. با ابنة "الزعيم" الذي حذر من الطائفية، ما هم عادوا اليوم يصلبون الوطن باسم المذهبية، يتقاسمون قوتنا اليومي باسم الدين، ما هم يدخلون اخطبوط الطائفية في رغيغ الخبز، وفي كلماتنا، وفواصلنا، في ساعاتنا ودقائقنا، في ايامنا، وليالينا، ما هم يقومون بفرزنا مناطق، وزواريب، وأحياء، فيصلبون الناصري من جديد، ويضطهدون محمد، ويرجمون القديسين والاولياء بحجارة جهلهم وتخلفهم. ما هم ما زالوا يقتتلون على السماء، والصهاينة يحتلون الارض، يحاولون اجهاض القوة الكامنة فينا، حتى لا تفعل فعلها وتغير وجه التاريخ. يدفعون بأبنائنا للوقوف بذل، وهم آمنوا بأن الحياة وقفه عز فقط. فماذا نفعل اليوم أيتها "الامينة"، فحزب "سعادة" صار احزاباً، وصار اقطاب هذه الاحزاب ينتظرون دورهم في لوائح انتخابية فصلوها على قياس الطوائف والمناطق، وهم ارتضوا ذلك للوصول فقط الى غاياتهم، لا لتحقيق مصالح الامة والمبادئ والقيم. الثامن من تموز، يجب ان يكون المحطة الاساس لالغاء الطائفية، لفصل الدين عن الدولة، لتحقيق انسانية الانسان، لانصهار المجتمع في بوتقة الوحدة الاجتماعية. الثامن من تموز يجب ان يكون يوم وحدة المجتمع، ووحدة أبناء سعادة، ابناء الحياة، لانه اليوم الذي قدم فيه والدك حياته رخيصة في سبيل بقاء الامة، واستمرار مسيرة النهضة فيها.

العمود: 1

الصفحة: 12

رقم العدد: 20208

التاريخ: 24-11-1998

## العنوان: رياض الصلح رافقت انطون سعادة من دمشق الى بيروت وأحببت خطة حسني الزعيم لتصفيته في الطريق

الكاتب: عسيران زهير

في الحديث عن اغتيال رياض الصلح في عمان، ثم اغتيال الملك عبدالله الذي استضاف رياض، لا بد من الحديث عن مقتل انطون سعادة وما قيل وما لم يقل حتى الآن لعلاقة القضية باغتيال رياض الصلح. فقد لجأ الزعيم انطون سعادة، بعد فشل محاولته الانقلابية، الى حمى حسني الزعيم كما هو معروف طلباً لحمايته. فجرت مفاوضات بين بيروت ودمشق لاسترداده ومحاكمته. وتوجه الوفد اللبناني الى العاصمة السورية والمؤلف من الامير فريد شهاب مدير الامن العام، ونور الدين الرفاعي قائد قوى الامن الداخلي، وانتدبني رياض الصلح لمواكبة الوفد. واسفرت الاتصالات عن شرط وضعه حسني الزعيم لتسليم

انطون سعاده هو ان يقتل في الطريق الى بيروت بحجة انه حاول الهرب فلا يحاكم امام القضاء، ولا يكشف سراً يحرص حسني الزعيم على اخفائه، والا لماذا يفضل قتله في الطريق؟ غادرنا دمشق ومعنا انطون سعاده، وفي الطريق طلبت من المفوضين التريث في تنفيذ طلب حسني الزعيم ريثما نصل الى شتورا وننتصل برياض الصلح الذي رد على طلب الماريشال السوري بقوله: "اياكم ان تقدموا على ذلك، حافظوا على حياة الرجل فالقضاء وحده هو الذي تولى الامر..."

وصل انطون سعاده سالما الى بيروت ومثل امام القضاء العسكري الذي اصدر حكما باعدامه لانه هاجم عددا من مخافر الدولة واحتلها واعتدى على أمن الدولة، وكان ينوي احداث انقلاب بمساعدة من حسني الزعيم الذي وعده بارسال آلاف من الجنود السوريين بثياب مدنية بحجة انهم من الحزب السوري القومي. والسرعة في محاكمته كانت لتحاشي ان يركب الماريشال رأسه وينفذ تهديده قبل ان يبوح انطون سعاده بالسر وهو الذي طالما هدد احتلال لبنان اثناء الازمات بين البلدين. ويقول بعض الثقات ان الحزب السوري القومي كان له الضلع الأكبر في اطاحة حسني الزعيم انتقاما لانطون سعاده الذي غدر به حسني وسلمه الى السلطات اللبنانية بعدما تعهد بحمايته في سوريا. حسني الزعيم يوسط الملك فاروق لدى بشارة الخوري للاسراع بالمحاكمة وقد كثر الكلام والاحتجاج على السرعة في المحاكمة لانها تمت خلال اربع وعشرين ساعة فقط، وكانت موضع تساؤل السياسيين والمحامين والرأي العام.

وانشر هنا كلاما نقله الي الصديق النقيب محمد البعلبكي وهو كما قلت كان احد اركان الحزب القومي السوري وتساءل مع المتسائلين مستغربا هذه السرعة في المحاكمة. تساءل امام المرحوم حبيب ابو شهلا فأطلعته على السر في اسباب السرعة وقال له ابو شهلا: "اتصل الملك فاروق شخصا مساء اليوم الذي وصل فيه انطون سعاده الى لبنان سالما بعدما علم حسني الزعيم ان شرطه لم ينفذ بتصفيته على الطريق وطلب من الملك فاروق التوسط لدى الرئيس بشارة الخوري ليعجلوا اقصى ما يمكن في المحاكمة. وقد استجاب بشارة الخوري واجرى الاتصالات اللازمة بالسلطات القضائية لتحديد موعد المحاكمة بالسرعة القصوى.

التاريخ: 23-07-1997 رقم العدد: 19801 الصفحة: 6 العمود: 5

## العنوان: مفكرة الايام دفاتر تموز وصراع العمالقة تحت الشمس... المؤامرة تضرب الحزب القومي بعد اغتيال سعادة ورياض

الكاتب: المعلوف رفيق

بعد اغتيال سعادة ورياض الخميس في 16 تموز 1951، قتل رياض الصلح برصاص القوميين السوريين في عمان. وكان رياض علماً من اعلام النضال العربي ضد الاستعمار، وسياسياً عريقاً اتقن هندسة الخطط وتوزيع الادوار في الرهان على التناقضات الدولية لانتزاع استقلال لبنان وسوريا. ويذهب معظم الباحثين والمؤرخين الثقات الى ان هذا الرصيد النضالي الكبير الذي توجهته شخصية قوية تمرست بالشدائد، كان احد الاسباب الرئيسية التي جعلت الرأي العام المحلي والاقليمي والدولي يحمل رياض الصلح دون سواه من حكام لبنان يومذاك، مسؤولية الخطأ الجسيم الذي اقترفته الدولة اللبنانية باعدام انطون سعاده زعيم الحزب السوري القومي في 8 تموز 1949، وهو اعدام تم بعد 4 ساعات فقط من اعتقال الرجل، اثر محاكمة صورية عاجلة، فكان بمثابة "اغتيال" في حمة السلطة الشرعية. وقد ثبت فيما بعد لقيادة الحزب ان رياض الصلح كان آخر من وافق على ذلك "الاغتيال الشرعي" واول من اتهم به. ولكن القاعدة الحزبية التي صعقتها الجريمة المرتكبة كانت قد خرجت عن احتواء القيادة تحت وطأة الانفعال الشديد، وتأثرت تأثراً بالغاً بموجة الاتهام الموجه الى الرجل الاقوى في دولة الاستقلال، ذلك الاتهام الصارخ الذي دأبت الاجهزة الاستعمارية والصهيونية الحاكمة وعملاؤها داخل الحكم اللبناني على اذكائه وتضخيمه انتقاماً وتشفيماً... حتى كان ما كان، فاغتالت المؤامرة رياض الصلح بعد عامين من اغتيال سعادة. ومنذ ذلك

الحين اصبحت عمليات الاغتيال ابرز يومياتنا العربية السوداء. وخلافا لما كان شائعا، ولا يزال، في بعض الاوساط البعيدة عن رصد الوقائع بالتحقق الدقيق، فان قتل رياض لم يتم بقرار حزبي قيادي على الاطلاق. وهو ما يشهد به نفر موثوق من رجال الرعيل الاول في الحزب السوري القومي ويؤكدون في كتاباتهم ومطرحاتهم.

ومهما يكن من امر، فان لهيب تموز وحداثه الدامية ودفاته الطافحة بالانقلابات والثورات والمساحل والقوارع، تدفعنا بديهياً الى قراءة جديدة في اضبارة الحركة القومية الاجتماعية التي لا تزال تعتبر من الناحية النظرية على الاقل، مشروعاً نهضوياً مثالياً لمجتمع قومي حديث قادر على مواجهة التحديات. فلو حدقنا تحديقاً جيداً في المجسمات العقائدية للحزب والحركات السياسية والاجتماعية في الهلال الخصيب المترامي بين خطي العرض والطول 25 و35 درجة في وسط الارض، لتبين لنا ان المجسم العقائدي الوحيد الذي اشتركت في رسم خطوطه ورصف مداميكه عوامل التاريخ والجغرافيا والطبيعة والبيئة، والتراث الديني واللغوي والحضاري، والتفاعل الاقتصادي والاجتماعي، والتداخل الثقافي المتنوع الانشطة اقليمياً ودولياً، هو مجسم الحزب السوري القومي الذي اسسه انطون سعادة سنة 1932، وتكاد تكون عقيدته الاكثر تكاملاً بين العقائد الماثلة في الفيرينة السياسية المعاصرة. ذلك ان معظم العقائد والنظريات، سواء أكانت اممية يطمح اصحابها الى تطبيقها في قطاع واحد او اكثر من قطاعات الوجود القومي، كالعقيدة الماركسية مثلاً... ام انها كانت بسيدو - قومية تفترض احتواء العالم العربي ومناذحه الواغلة في المدى الاسيوي الافريقي على غرار القومية العربية مثلاً، او تفترض القوقعة في اطر كيانية منغلقة داخل العالم العربي، على غرار ما تصطنعه بعض الاقليات العنصرية والطائفية من فراديس العزلة والانطواء بداعي الخوف والحذر او صيانة مكاسب خاصة واجترار امتيازات شوفينية... وسواء اكانت دينية او مذهبية تتصدى للعولمة المادية بعولمة روحية - مادية، وتفترض، امتلاك الحد الأدنى من القدرة على مواجهة الاستكبار العالمي المالك من جهته لخطر وادق التقنيات الحديثة... هذه العقائد والنظريات جميعاً - مع احترامنا الكلي للمفكرين والمجاهدين الذين عملوا وناضلوا واستشهدوا احياناً في سبيلها - كانت، وما زالت، تسير في اتجاه مغاير لحركة التاريخ والواقع الوجودي المتبدل دراكاً، لان معظمها ينطلق من سلبية رد الفعل وليس من ايجابية الفعل المستقل بفرادته والمتحقق في ذاته، ام انه ينطلق من منطق التمني متأثراً بخلفيات عاطفية هبائية كالحنين الرومنسي الى ماضٍ مستهلك او الطموح المبتغى الى آتٍ مستحيل. دخلوا كابرين، وخرجوا كافرين!

ولكن ما دامت عقيدة الحزب السوري القومي تتميز بهذا القدر من عناصر التناغم والتكامل في اطار الهلال الخصيب، فلماذا بقيت علامة الاستفهام الكبرى مرتسمة اكثر من ستين عاماً حول فشل هذه العقيدة في الانتقال من التجريد الى التجسيد؟! ولماذا تحول الحزب الذي ينادي بها الى احزاب، بل الى شرائح وفلول تتجاذب شرف الدعوة وتتقاذف الاتهام بالعجز والتقصير عن تحقيق اهدافها؟! هذه التساؤلات شغلتنني رداً قبل حروب لبنان الانتحارية وبعدها، وكنت اتزندق في ابعادها رحمة بالبقية الباقية من صحتي النفسية وانا اتشوف الجحيم المؤجل الذي يبذو لبنان مرشحاً لولوجه بعد الجحيم المعجل الذي خرج منه... هذه التساؤلات عادت تراودني مراودة العانس للغرائق، عندما اهدى اليّ ابراهيم يموت احد المناضلين القدامى في الحزب السوري القومي كتاباً في كتابين: الاول عنوانه "الحصاد المر"، ويبين فيه بأسلوب السيرة الذاتية والذكريات المحكية اسباب الشقاق والشرذمة في كيان الحزب، والثاني عنوانه "كيف يحلو الحصاد"، ويرى فيه الكاتب ان العودة الى جذور العقيدة - او ما اسميه تجاوزاً بالاصولية الحزبية - كفيلة بانقاذ الحركة من التلاشي والزوال. ولا بد لي، فيما اهنئ الاخ ابراهيم يموت على هذا العمل التوثيقي والتوفيقي الاصيل، من تقرير حقيقة تاريخية ثابتة، وهي ان الحزب السوري القومي كان حزب الهلال الخصيب كله قبيل انهيار الاستعمار القديم، وبعد مرحلة الاستقلال في سوريا ولبنان والعراق والاردن، وكذلك في مرحلة الاغتصاب الصهيوني لفلسطين سنة 1948. فما من مثقف او نابغ او عبقر في السياسة والفكر والادب والعلم والفن والصحافة، وما من مجاهد وطني او قائد عسكري او مناضل اجتماعي او رائد اقتصادي، الا وانضوى في تلك الحركة التي نبعت من صلب الامة وعبرت في شرايينها بما يشبه السحر. ولو شئت ان اسمي الرعيل الاول والثاني والثالث من رواد هذه القضية ودعاتها البارزين في كل ميدان، لضاقت مئات الصفحات باسمائهم ووصافهم. لكنهم خرجوا منها جميعاً خائبين ومحبطين، بعدما دخلوها بقلوب ملؤها العزم والثبات. هذا قيل ان تنقسم القيادات على ذواتها، وقيل ان يصبح الحزب احزاباً في المرحلة التي سبقت حرب الانتحار اللبناني، ثم في غضون تلك الحرب وبعدها.

ويقيني ان الملامة في ذلك لا تقع على احد، سواء في قطاع النخبة الابداعية التي خرجت من صفوف الحركة، ام في قطاع الانتهازيين الذين فتنوا الحزب فيما بعد، وحولوه الى جمعيات برمكية تقيم المآدب والمناذب لتخليد ذكرى النكبات. ذلك ان العمل الدؤوب الذي تنكبته الصهيونية في العالم العربي بعد ان تحرر شكليا من الاستعمار القديم، قد استهدف اول ما استهدف احكام السيطرة على البلاد العربية باسلوب التعطيل والتمزيق والتفرقة والتخريب، في مرحلة كان العرب لا يزالون خلالها، تائهين سكارى بخمرة الاستقلال. وصية ميترنيخ ومعصية اوروبا ففيما كانت اوروبا بين 1948 و1970، تلملم اشلاءها وتعيد بناء مؤسساتها بعد حرب مدمرة لم تبق فيها على رفق من حصانة او طموح... وفيما كانت اميركا تنتقل متقلبة الاعباء من حرب كوريا الى حرب فيتنام، الى حرب التناقضات الاجتماعية والاوبئة الوجودية التي لن تجد في المريخ، ولا في المشتري، دواء لأدوائها القاتلة، كما لم تجد قبل ذلك في القمر... وفيما كانت الامة الروسية متقلبة بسلاسل واصفاد احكم النظام السوفياتي فرضها على خليط متنافر من الشعوب لمنعها من الوثوب، وتعطيل قرارها بتواكل روتيني اورثها الموت بوعد الحياة... فيما كانت عواصم القرار تلك جمعاء، قابعة خلف اغلاق متاعبها الكامنة، متمسكة اعضاءها في شتاء الحضارة القاسي... كانت الصهيونية تعمل جاهدة بواسطة عملائها على تحقيق ما تبتغيه من ثورات وانقلابات فوضوية وشروخ سياسية واقتصادية واجتماعية في الهلال الخصيب، وتتفرغ في الوقت نفسه لضرب سائر المجموعات العربية المتكاملة في وادي النيل وجزيرة العرب والمغرب العربي الكبير، بحيث عمت النزاعات والفتن والحروب الاهلية والمغامرات العشوائية من المحيط الى الخليج. وكان في رأس اهتمامات الحركة الصهيونية تدمير الحزب الذي يناقض مشروعها الثوراتي الهادف الى تحقيق اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات، بمشروع عربي كنعاني يؤكد وحدة سورية الكبرى او سوراقياء، من النيل الى الفراتين، ويعمل على ازالة الكيانات السياسية المصطنعة التي فرضتها المشيئة الصهيونية على الحلفاء بعد الحرب العالمية الاولى وكرستها في اتفاقية سايكس - بيكو، ثم في معاهدة لوزان. وقد لقي تفتيت الهلال الخصيب، وبالتالي تمزيق الحركة القومية الاجتماعية التي تناضل في سبيل وحدته، ترحيبا قويا من جانب الدول الكبرى في الغرب، لان ذلك التفتيت جاء مطابقا لسياسة اوروبا، ثم الولايات المتحدة، اللتين عملتا بوصية ميترنيخ، وهي تقضي بالحوول دون قيام اي دولة عظمى في سورية الطبيعية تمسك بمفاتيح ثلاث قارات اقتصاديا واستراتيجيا.

وكانت التجربة الاوروبية المريرة مع الامبراطورية العثمانية التي وصلت في عصرها الذهبي الى ابواب فيينا، اهم حافز دفع ويدفع بالاوروبيين الى منع تكرارها، لاسيما وان تصفية تلك الامبراطورية استهلكت جهودا مضنية طيلة ما يزيد على 150 سنة صرفها الغرب متأمرا على العثمانيين في مراحل انحطاطهم ضمن ما يعرف عند المؤرخين "بالقضية الشرقية". وفي اطار هذا المبدأ الاحتراسي الوقائي الذي يطبقه الغرب في الشرق الادنى، نجد التفسير الاعمق والادنى لتحالف القوى الدولية العظمى مع الصهيونية واسرائيل في كبح توسع الحركة الناصرية في الستينات، ثم ضرب الوحدة المصرية - السورية وكل المحاولات الوحودية في المشرق العربي، كما نفهم استدراج القيادة العراقية الى خطأ اقبح من جرم في غزوها لك وبيت، الامر الذي ادى الى تصفية القوة العسكرية والانمائية العراقية بالضربة القاضية... ونفهم اخيرا، وليس آخر، التهديد المتواصل من جانب الغرب، عبر الحلف التركي الاسرائيلي، للتعاقب القائم بين دمشق وطهران، او بين دمشق والرياض، او بين دمشق وبيروت، وكذلك التقارب الذي بدأ ينمو بين دمشق وبغداد. واذا كانت اوروبا التي ترصد التطورات الخاصة بموازين القوى في المنطقة من موقع الجوار الادنى، قد بدأت تدرك مؤخرا تفاقم الخطر الاسرائيلي على مصالحها، وتتنظر بامتعاض الى امتناع الولايات المتحدة عن تطبيق المبدأ الاحتراسي الوقائي المشار اليه اعلاه، على الدولة الصهيونية التي بدأت تتحول الى امبراطورية توسعية على حساب محيطها... فان التسلط الاميركي على القرار الاوروبي لا يزال يحول دون اي تدخل من جانب اوروبا لردع اسرائيل. وما لم يطرأ تبدل في العمق - وهو مستبعد كليا في الظروف الموضوعية الراهنة - على السياسة الاميركية الخاضعة لليهود، فان الامل بايقاف اسرائيل عند حدها يظل ضربا من الرجم بالغيب، او مجرد سراب خادع في صحراء العيوب التي لم يحفلوا بها... ولكن ثمة اسبابا اخرى ذات طابع كيانى اثرت تأثيرا مباشرا على مسيرة الحركة القومية الاجتماعية بالاضافة الى العوامل والاسباب الخارجية، كما ادت الى تهميشها في لبنان وسورية الطبيعية بوجه عام. وأهم هذه الاسباب في رأي الباحثين الثقات تختصر في الوقائع الآتية:

اولاً: لقد فرضت شخصية زعيم الحركة انطون سعادة منذ البداية على القوميين السوريين، نوعاً من الدمج المطلق بين الرجل والعقيدة، الى حد بلغ مستوى عبادة الفرد. فلما اغتالته المؤامرة سنة 1949، لم تغنهم العقيدة عن الرجل، لانهم كانوا قد

تعودوا تجسيدها في كائن بشري حي، وهو أسوأ ما يصيب الجماعة التي تفقد راعيها ان لم يترك لها شرعة كاملة في كتاب. ولعلّ الفضل الكبير الذي يعود الى الخليفة عثمان بن عفان، هو انه امر بعد وفاة النبي بتدوين القرآن في ست نسخ وزعها على الامصار في مشارق الارض ومغاربها، فجمع العقيدة السماوية في كتاب حفظ الديانة الاسلامية من تضارب منقول الرواة لنصوص الوحي المبين، والا لما صمد الاسلام بعد الرسول ولا كانت له مرجعية تعصم المؤمنين من الخروج على جوهر الرسالة. والذي ينطبق على الاسلام في هذا المجال ينطبق على المسيحية تماماً. لو لم تقرّ المجامع المسكونية الاولى صلاحية اربعة اناجيل متشابهة كلياً، من اصل بضعة عشر انجياً تروي سيرة السيد المسيح وتنطق بأياته، لما كانت للمسيحية مرجعية موثوقة على الاطلاق. لذلك كان على رفقاء انطون سعادة في الحزب السوري القومي، ان يبادروا بعد اغتيال زعيمهم الى وضع دستور عقائدي متكامل يصهر مقولاته وكتاباتة في اثر مرجعي واحد يخضع للتشذيب والتطوير طبقاً لتبديلات الازمنة، ويكون مناراً هادياً للذين خلفهم سعادة ورائه من دعاة قضيتة، وهم لا يعرفون حتى الآن الى اي مرجع يركنون، بالرغم من المجموعات التراكمية التي نشرت فيما بعد لمحاضرات انطون سعادة ومقالاته، وهي بمثابة تأليف يجمع شتاتاً سرعان ما ينتيه فيه الباحث والمريد بالرغم من كونه يبيلور جوهرأ محكم الرؤية موفور السداد في علاج مشكلات الامة والكون والوجود.

ثانياً: ان عبادة الفرد في شخصية "الزعيم" عوّدت السوريين القوميين نوعاً من الاستهزاء غير المقصود بمبادئ الحرية والديموقراطية، فنجح البارزون منهم بعد وفاته الى التشبّه الارعن بشخصيته الخارقة وهم دونها، كما عرضوا كلياً عن تلمس افكار القاعدة واستكشاف طموحاتها. الامر الذي طوّح بكل محازب له بعض النفوذ والمال وشهوة السلطة، الى ادعاء الزعامة والتعالي نحو مستواها، فتحوّل الحزب الى مجموعة اقطاعات سياسية لا ترى فيها القاعدة الحزبية شفاءً ولا براءً من علة الشقاق. وهي، وان كانت تتساير تلك الزعامات الحزبية الطارئة في المناسبات الاستعراضية، فلأنها تحترم العقيدة وتحرص على كرامة "الزعيم" وذكره، دونما احتفال بتجارة المتزعمين من بعده. لذلك كان على الامناء الذين خلفوا سعادة بعد اغتياله ان يدفعوا الحركة باتجاه الديموقراطية والخيار الحرّ، بحيث يتم تعيين القيادة باستفتاء القاعدة. لكن ذلك لم يحصل مع الاسف، وغار الفتح في دكاكين ملوك الطوائف.

ثالثاً: لقد استزلمت معظم قيادات الحزب السوري القومي المتعددة الاتجاهات بعد وفاة سعادة لحكام الانظمة السياسية في سورية الطبيعية والعالم العربي والاجنبي استزلاماً معيباً، وذلك في مراحل ومناسبات لا عدّ لها ولا حصر، من سنة 1950 الى 1997، الامر الذي لم يخف على اي قومي شريف، خصوصاً قدماء الحركة الذين دخلوا الحزب ليفتحوا او يموتوا. وقد اسهم ذلك في تشويه صورة الحزب لدى الرأي العام والنخبة الواعية في دول الهلال الخصيب جمعاء، كما ادى الى تقزيم الحركة خلال الحرب اللبنانية ودفع المؤمنين بها الى انضواء وقائي في صفوف التشكيلات الميليشياوية الطائفية المسترتهة للاجنبي والتي لم تغسل بعد ايديها من الدماء.

رابعاً: بدأت الحركة القومية السورية في الثلاثينات واستمرت في الاربعينات حركة ثقافية اجتماعية تتوخى التوعية في لبنان وبلدان سورية الطبيعية عموماً. وقد عجزت في بداياتها، تحت وطأة الاستعمار وهجرة زعيمها واعتقال كوادرها العليا، وتحت ضغط امكاناتها المادية وبدائية وسائلها الاعلامية، عن ان تتحول الى "حركة جماهيرية" قادرة على تعبئة الطاقة البشرية العظمى في بلوغ الاهداف. وفي طليعة عللها الجذرية والجوهرية انها بقيت بعيدة عن السواد الاعظم من الناس، فيما كان بإمكان معظم اقطابها الذين تفوقوا بعد سعادة في نفسية "من يتأمر علينا ومن نتأمر عليه"، ان ينطلقوا بها زوبعة جماهيرية رهيبية ذات قوة "لو فعلت لغيرت وجه التاريخ"، كما يقول زعيمها. لكنهم في الحقيقة لم يفعلوا لانهم عجزوا عن "اختراع" زعامة اصيلة بعد الرجل تحقق ذلك التغيير، فتحوّلت الحركة الى تجمع هامشي، بل تجمعات تضم ارستوقراطية فكرية تنظيرية، ولا ترى فيها جماهير الامة ما يحثها على التضحية والفداء.

خامساً: لا شك في ان الحزب السوري القومي حسم الموضوع الطائفي حسماً راديكالياً مثالياً منذ تأسيسه، وتمكن من صهر عناصره صهراً كاملاً في البوتقة القومية، كما حرّره من الانتماء المذهبي والطائفي، في بلاد تتحسس الوجدان الديني اكثر

من اي بلاد اخرى في العالم، لا سيما وانها كانت منطلق الديانات الابراهيمية الثلاث. لكن الحزب لم يركز تركيزاً اساسياً من الناحية العقائدية، على دور الهلال الخصيب في بلورة الحضارة العربية والاسلامية، مع انه دور تواصل دونما انقطاع طيلة اربعة عشر قرناً مرّت خلالها على الشرق الادنى حروب واهوال، وتناوبت فيه عصور انحطاط وازدهار ظلت عاجزة عن الانتعاش من شخصيته الريادية وخصائصه المميزة في العالم العربي والاسلامي.

سادساً: لقد كان الحزب السوري القومي، منذ نشأته، وبدرجات متفاوتة الى يومنا هذا، كبير الصراحة مثالي الوضوح في الشأن السياسي، خلافاً لمعظم الاحزاب والحركات الاصلية والطارئة في المنطقة، التي تتقن لعبة الظاهر والباطن، كالحركة الصهيونية مثلاً ذات البهارج المعلنة والخبائث المضمرة، الامر الذي عرّضه باستمرار للاضطهاد والتنكيل. وهو لم يراع في اي حال خصوصية بعض الاقليات المترسبة في وحول التعصّب والرفض، بحيث ينقذها من خطر ذلك الترسيب، عبر تصور متكامل للنظام السياسي الذي ينوي اعتماده في المستقبل، فيتجنّب بالتالي العداة المسبق من قبل تلك الاقليات المنغلقة التي تصدّمها فكرة الذوبان في المجتمع القومي العريض.

بعد هذا، لا عجب ان يقف المواطنون في الهلال الخصيب، بلا هدف ولا امل ولا ظل يتحرك تحت شمس تموز، متسانلين: "الى اين؟! فالمقاصل المنشارية تنتقل بلا هواده على رقاب الابرياء، من صعيد الجزائر الى صعيد مصر، باسم الاسلام الذي ختم الاديان العظمى وصهر جوهر الرسالات السماوية، وهي قد تصل الى صعد اخرى بلا رقيب او حسيب... اما الاخلاق والمثل الانسانية العليا، في السياسة والمجتمع والاعمال والعلم والفكر والادب والفن، تلك التي اشترعها سقراط وافلاطون وارسطو وبوذا وكونفوشيوس وموسى وعيسى ومحمد، فقد سقطت في هستيريا الكسب والجنس والقتل والزور والهنك والزنى، فبات كل قبائح مقبول، وكل جميل مرذول، وكل سليم مهزول، وكل عليم مجهول، وكل حكيم مجنون، وكل بريء مسؤول، وكل رصين مذهبول، وكل عقيل مخلول، وكل حليل ملول، وكل خليل مقتول، وكل شريف معلول، وكل مومس بتول! واما العولمة، فقد طمست "الدولة"، وسحقت "الاقلمة"، وسحلت "الوطننة" و"القوممة"، واستهلكتها جميعاً في بطن حوت لو دخله يونان لخرج منه بلا عيين ولا اذنين!.. لقد جمعوا خبير الارض في اهراء روما العصر، وقالوا للعبيد: لن نعطيكم حتى الكراع كي لا تظمعو في الذراع!.. موتوا في كمد ولا يعلم بكم احد، لأننا ذاهبون الى المريخ على خيل مطهّمة فارعة، ولكم بعدنا صحراء نيفادا او شرف المسادا!.. الى اين؟ نحن لا نعرف حق المعرفة. لكن دوننا المد الاسوي البيعيد. وكأني ارى بعين الخيال على سطح السفارة الاميركية في سايغون، وقد دخلها الجنرال "جياب"، رجلاً يلوّح للهيليكوبتر كي تدفع اليه بحبل النجاة، اسمه تنتياهو. الى اين؟ نحن لا نعرف الى اين، ولا تنتياهو. ففي زمن القرصان لا يحلم الربان بشطنان الامان... ومع ذلك علينا ان نجدف ونغني ونصغي الى اناشيد الحياة في اطراف المجاذيف.

التاريخ: 28-05-1997 رقم العدد: 19752 الصفحة: 15 العمود: 1

## العنوان: تعليقا على مقال كرم الحلو "نعم... سعادة هو الذي اضاء الطريق"

الكاتب: الجردي قيس

في مقالة "مئة سنة على المؤتمر الصهيوني العالمي الاول - جوانب مضيئة من فكر المسيحيين اللبنانيين المقاوم للصهيونية" المنشور في 13 ايار 1997 في "النهار"، عرض كرم الحلو كتابات نجيب العازوري وامين الريحاني وفرج الله الحلو وكمال الحاج وقسطنطين زريق لكنه قفز قفزة اضاعت التوازن في مقاله حين تجاهل لا يتجاهله الاعداء الصهاينة قبل الاصدقاء، الا وهو انطون سعادة الذي انشأ مدرسة فكرية وحزبا مناهضا مقاوما خرّج الاستشهاديين والاستشهاديات بهدي فكر سعادة القومي الذي سنة 1925 طرح في مقالاته في مجلة "المجلة" الصادرة في المعترب اول اذار من خطر الصهيونية ومشروعها في اطار ان "اجراءاتها سائرة الى النجاح ما لم تقم في وجهها خطة نظامية قومية معاكسة". وبهذا تقرّد سعادة في

تحذيره من الخطر الصهيوني على الدعوة لانشاء خطة نظامية معاكسة والتي تجلت في تأسيسه بعد سنوات سبع من هذا الكلام الحزب السوري القومي الاجتماعي، حيث اعتبر في شرحه لمبادئه ان الامة هي مزيج سلالي من جميع الهجرات التي نزلت ارض سوريا الطبيعية وتمازجت وانصهرت لتكوّن الامة السورية الا الهجرة اليهودية الاستيطانية المعادية للامة ولقضيته ولمصيرها. ولم يخل نص من كتب سعادة ومحاضراته وخطبه ورسائله من استنهاض الامة لمواجهة الخطر اليهودي الصهيوني. وهو الذي قال منذ 1925 بأن المعركة مع الصهيونية معركة قومية، واذا ما اقتضت على شعب فلسطين حققت الصهيونية اهدافها بعزله عن المصير القومي واستقراده. وهو في خطابه في الاول من آذار 1938 يحذر اللبنانيين من خطر المشروع الصهيوني الذي كما يقول لا يقتصر على فلسطين، بل ان الصهاينة منذ ذلك الحين اي 1938 كانوا يصرحون بانهم طامعون بأن يتزلجوا على جبال لبنان. ولم يكن احد سواه في ذلك الحين يستشرف الغزو الصهيوني للبنان في 1978 و1982. وطوال فترة الحرب العالمية الثانية، كان سعادة يحذر من خطورة تشكيل فرقة يهودية تقاتل مع جيوش الحلفاء على انها ستكون مشروع الجيش العدوانى الصهيوني في ما بعد الحرب لاغتصاب فلسطين. ويوم وطأت قدماء ارض الوطن في 2 آذار 1947 عائدا من المغرب القسري حيث صدرت غيابيا بحقه احكام السجن الطويلة من جانب سلطات الانتداب، قال مخاطبا الجموع القومية المحتشدة لاستقباله: "ان جهادنا يستمر ويجب ان تذكروا دائما فلسطين سوريا. اذ ان هذا الجناح الجنوبي مهدد تهديدا خطيرا جدا.

ان ارادة القوميين الاجتماعيين هي انقاذ فلسطين من المطامع اليهودية ومشتركاتها. ولعلمك ستسمعون من سيقول لكم ان في انقاذ فلسطين حيفا على لبنان واللبنانيين وامرا لا دخل للبنان فيه. ان انقاذ فلسطين هو امر لبناني في الصميم، كما هو امر شامي في الصميم، كما هو فلسطيني في الصميم. ان الخطر اليهودي على فلسطين هو خطر على سوريا كلها، هو خطر على جميع هذه الكيانات". وعند صدور قرار تقسيم فلسطين في 29 تشرين الاول 1947 اعتبر سعادة ذلك اليوم يوم حداد قومي ووجه رسالته الى الامة. ودعا القوميين الاجتماعيين الى الانتظام في قوة لتقاتل في فلسطين. وقد قاتلت منهم تلبية لأوامره فرقة "الزوبعة" بين اللد والرملة في فلسطين. وحجب السلاح عن فرق اخرى فكتب مقاله الشهير "لا سلاح للقوميين الاجتماعيين" لان الرجعة تدخلت لمنع تسليحهم. وقد شهد بذلك منير ابو فاضل في حديث له لمجلة "صباح الخير" في 1979 حول رفض الحكم تسليح القوميين خوفا من انقضاضهم على الانظمة بعد وقوع الكارثة. وفي ندائه المشار اليه الصادر في 2 تشرين الثاني 1947 يعلن سعادة رفضه قرار التقسيم ويدعو الامة كلها الى رفضه انطلاقا من ان الشرعية الدولية لا تصادر الشرعية القومية بل تنهض عليها. وفي هذا يقول: "ليس لجمعية الامم المتحدة كلها ان تتعمد الغاء حق الامم الحرة في تقرير مصيرها بنفسها". ويعتبر جمعية الامم في ذلك الحين غير ممثلة للانسانية جمعاء، لانها مقتصرة على الدول التي انتصرت في الحرب. وكما كان سعادة حكيما ومستشرفا، لان جمعية الامم المتحدة في ذلك الحين اقتضت على اربعين دولة بينما في العقود التالية بعد تحرر دول آسيا وافريقيا وسقوط الاستعمار ارتفع عدد اعضائها اضعافا مضاعفة بحيث يبلغ عددها الآن مئة وثمانين دولة. وفي رسالته هذه، اطلق سعادة المفهوم الاعمق والاشمل للوحدة الروحية للامة حين قال: "كلنا مسلمون فقد جمعنا الاسلام، منا من اسلم الله بالانجيل ومنا من اسلم الله بالقرآن ومنا من اسلم الله بالحكمة. فليس لنا من عدو يقاتلنا في ديننا وحقنا ووطننا غير اليهود".

وفي الفكر الاستراتيجي لسعادة كتب في 1949 على اثر مصادقة حكومة حسني الزعيم على اتفاقية التابلاين مقاله الشهير "سلاح انترناسيوني لم يستعمل" معتبرا ان المصادقة على اتفاق نفطي هو التخلي عن السلاح البترولي "للحد من تأييد الولايات المتحدة لليهود... وجزيناها بتصديق اتفاقية حساسة ومهمة... ومنتظر مع ذلك ان نربح الجولات المقبلة في حرب الموت او الحياة مع الغزاة الصهيونيين". واذ نذكر في هذا الشهر اعلان العدو قيام دولته الغاصبة في فلسطين، لا بد ان نذكر خطاب سعادة الاخير في برج البراجنة في اول حزيران 1949 حين رد على خطاب بن غوريون في حفل تخريج اول دفعة من الضباط الاسرائيليين، وقوله مخاطبا ضباطه ان امامهم مهمة "تحرير بقية الارض بين الفرات والنيل" فيقول سعادة في خطابه الرد على بن غوريون "ان الدولة اليهودية تخرج اليوم ضباطا عسكريين، وانا بدورنا نخرج ضباطا عسكريين ومتى ابتدأت جيوش الدولة الجديدة الغربية تتحرك بغية تحقيق مطامعها الاثيمة تتحرك قواتنا لتطهر ارض الاباء والاجداد وميراث الابناء والاحفاد... هذا ليس آخر جواب نعطيه لان الجواب الاخير سيكون في ساحة الحرب".

## العنوان:.... وفي الليلة الظلماء يفقد القائد!

الكاتب: سعد مكرم

قبل كل تموز(•) وفي كل تموز، وبعد كل تموز، نفتقدك يا معلم، ويسأل العالم ما دهي هذه الامة التي وضعت اسس الحضارة للعالم، وشيدت العمران وميزت الانسان عن مخلوقات الارض، وكتبت الابجدية ارقى وسائل التخاطب والتراسل بين الامم، وشرعت القوانين وضبطت العلاقات الاجتماعية بين الناس، اخترعت الدولار وسيلة تواصل ثابتة لا يقوى عليها الزمن، ورفعت الشراع وشقت عباب البحار تنشر المدنية والثقافة والعلم بين البشر.

ما دهي هذه الامة؟

هل رواسب الفتوحات والاحتلالات هي التي افقدتها اصالتها وحيويتها ودورها القيادي بين الامم؟ وهل مؤامرات تفتيتها اجزاء عزيزة عن وحدة الارض، الاهواز، كيليكيا، الاسكندورن، فلسطين، قبرص، هي التي ضععتها وسلخت منها الاردة والقدرة على مقاومة اكبر عملية خداع واحتيال ونفاق وسرقة، منذ ان سلب الاوروبيون القارة الاميركية من شعوبها؟ ام ان الاقتتال على السماء افقدنا الارض؟

عام 1935 عندما كشفت عن تأسيسك الحزب السوري القومي الاجتماعي، اقدمت سلطة الانتداب، بتحريض من الطوائف، على اعتقالك. ومثلت امام محكمة الانتداب واتهمت المنتدبين بتمزيق وحدة الوطن وتزوير حدوده وسلب ارادة الامة.

كان لوفقتك صداها في كل الانحاء وبدأ التساؤل في اوساط المراقبين المثقفين من هو هذا الذي وقف في وجه الانتداب والطوائف واسمع العالم كلمة الحق؟

نعم يا معلم، حتى الذين لم ترقيم المبادئ التي طرحت ذهلوا وقدروا فيك الجرأة النادرة والدعوة الى مبادئ وطنية قومية لا تخدم عائلة او عشيرة او طائفة، كما عودهم قادتهم لقرون خلت، بل تعين وتحدد شخصية الامة والتصاق الشعب بالارض التي عليها نشأ وترعرع.

لقد ايقظت وجدان الشرفاء في أمتك يا معلم. فمنهم من هرع والتحق بالحزب الذي أسست، وبعضهم اختار طرقا اخرى نحو العزة والكرامة، فظهرت بعض الاحزاب والحركات الاصلية وكانت شجاعتك وتضحياتك الحافز الاقوى لهم، اعترفوا ام انكروا. تحرك ايضا بعض الطائفيين العنصريين فأنشأوا، بمساندة الانتداب، احزابا طائفية انعزالية تزيد التمزيق والتفرقة بين ابناء الشعب الواحد، وتحارب الحزب القومي الذي تضافر ضده كل رؤساء الطوائف.

ورغم ان المحكمة وفرت لك منبرا لمخاطبة الشعب وطرح قضية الامة العادلة، الا انها اصدرت بحقك حكما ظالما بالسجن خمسة اشهر كتبت خلالها "شرح المبادئ" وادرت شؤون الحزب من وراء القيصان. بعد الافراج عنك، عادت السلطة واعتقلتك بتهمة ملفقة جديدة، فقامت في السجن بتأليف كتاب "نشوء الامم" اهم ما كتب في موضوعه منذ مقدمة ابن خلدون.

سؤال يلح عليّ يا حضرة الزعيم: مثلت امام محاكم الانتداب، وسجنت مرتين، وكنت دائما كبيرا مرفوع الرأس. فلا المحكمة

اخافتك، ولا السجن. وكان الشعب يتعرف عليك أكثر ويتضامن مع الحزب.

لنعد الى 9 حزيران 1949 عندما حضر الى منزلك الرفيقان هشام شرابي ويوسف سلامة واصطحباك الى فندق النورماندي حيث التقيت وزير الداخلية في الحكومة اللبنانية آنذاك غبريال المر. مكثت مع الوزير أقل من ساعة، وعدت الى السيارة وعلى وجهك علامات الارتياح كما يذكر الرفيق سلامة.

لماذا يا معلم؟ ماذا همس في أذنك المر؟

هل كان المر جزءا من المؤامرة ام احد ضحاياها (اغبيائها)؟ (استقال المر على اثر اعدامك بعدما وبخه مطران الارثوذكس).

بعد حادثة الجميزة وعودتك الى المنزل، مكثت فيه اكثر من اربع ساعات قبل ان تتركه وتتوارى. هل لكلام المر صلة بذلك؟ ومن زارك في تلك الفترة؟ ومن اتصل بك؟ ومن اشار عليك؟ ومن دفعك الى التواري؟

ومع غيابك بدأت المواجهة العسكرية مع الدولة. راهن المتآمرون على كبريائنا وعزتنا وكرامتنا. اعتدوا علينا، اهانونا وكمنوا لنا.

دمشق، التي كانت طرفاً في المؤامرة، اغرتك لاعلان الثورة، ثم تخلفت عنك وسلمتكم الى الحكومة اللبنانية. ليت انك لم تترك المنزل ذلك المساء يا معلم.

ليتكم واجهت محاكم الاستقلال كما فعلت مع محاكم الانتداب. لو فعلت لما كانت المحكمة العسكرية ولا سرية، ولما كان اعدام.

نفقتك حضرة الزعيم، الامة تستغيث وليس من منقذ.

نفقتك، وفي العين دمعة وفي القلب غصة.

السنة الماضية وفي المناسبة نفسها اعدت ما قاله والدي للأهل والاصدقاء عندما عاد الى عين عنوب بعدما شهد اعدام رفاقنا الستة في 21 تموز 1949: "بعد ان قتلوا انطون سعادة أمل الشعب في التخلص من الطائفية البغيضة، عادوا واهانوه في الحكم على رفاقه بحسب التوزيع الطائفي، حفنة من الصغار ضربوا ضربة الخائف الجبان".

بعد سنة وبضعة اشهر وصل الى عين عنوب احد الصحفيين وسأل عن منزل سليمان سعد. وعندما وصل خاطب والدي قائلا: "تهانينا حضرة المفوض لقد صدر مرسوم ترفيتك".

ترقية والدي كانت مستحقة منذ سبع سنوات، وكل سنة كان من المتفوقين بين نحو اربعين مرشحا من كل الطوائف، وللدورز موقع واحد. ولكن قبل ان يصدر مرسوم الترقية كان يتدخل النائب الدرزي الاله من قضاء عاليه ويوقفه.

تلك السنة تدخل بشارة وسليم الخوري، بمبادرة من المحامين جوزف وسليم باسيلا، فاجتمعا بالنائب وابلغاه انه لا يجوز تجاهل الامر ومنصب المفوض الدرزي شاغر منذ سبع سنوات. رفض النائب ترقية والدي تلقائيا وطلب امتحانا جديدا بشروط وضعها لمصلحة مرشحه ووعد بانه لن يتدخل وليرق من ينجح.

واجري الامتحان واعلنت النتيجة. وجاء الصحفي الى عين عنوب، كما اشرت آنفا، لابلاغ والدي بالامر. وغادر الى بيروت

صباح اليوم التالي بينما بقيت مع افراد العائلة في عين عنوب، وكنا قد ارتحنا باعتبار ان المعضلة قد حُلّت. وكانت المفاجأة الكبرى لدى عودة والدي في نهاية الاسبوع.

في بيروت، واثناء اجتماعه مع مدير الشرطة ناصر رعد، اتصل جورج حيمري مدير غرفة رئاسة الجمهورية وطلب من والدي الحضور الى قصر القنطاري لمقابلة الرئيس.

استقبل رئيس الجمهورية والدي قائلاً: "انا اعرف يا سليمان انك انزه موظف في الجمهورية" توقف عن الكلام قليلا ثم اكمل: "عندما عرف النائب (...) انني سأوقع مرسوم ترقيتك جاء الى القصر حاملا استقالته من الوزارة وقال: "وعدت انني سأقبل بالنتيجة ولن اغير، ولكن اريد ان اعتزل السياسة واقيم في الجرد". اسمع يا سليمان، ان انسحاب الرجل من الوزارة قد يسقط العهد لأن البديل الدرزي لا يركن اليه. من جهة اخرى الحق لك، ولكن ان تسامحت الآن سأصدر مرسوما استثنائيا بترقيتك خلال ثلاثة اشهر". فاجاب والدي ان الرئيس (بيمون) ولا يقبل بأن يكون هو السبب بسقوط العهد. بعد ان انتهى والدي من سرد ما حصل، خيم الصمت على الجميع فنهضت وتقدمت منه وسألته وعيناها مغرورقتان بالدمع: لماذا يكرهنا هذا الرجل؟ فضمني الوالد وقال: "هو لا يكره، ولا يحب، بل يريدنا ان نبقي ازالامه وليس رعايا الدولة".

كانت علاقة والدي بالنائب جيدة، واثناء حركة الاستقلال عام 1943 ترك موقعه في الشرطة في بيروت والتحق بحكومة بشامون. غير ان النائب طلب منه العودة الى موقعه ومراقبة الحالة. ولا مجال الان لذكر الاسباب التي ادت الى الخلاف، بل تجدر الاشارة الى ان البعض بدأ يتصرف وكأنه ربح البلاد بعد 1943 واعفى نفسه من التقيد بالقوانين، وكانت مهمة والدي (رئيس دائرة الاخلاق والآداب العامة لاربع عشرة سنة) تطبيق القوانين والحفاظ عليها. وتوفي بعد اقل من سنتين عن ستة واربعين عاما (شور الطائفية الآن أسوأ بكثير مما كانت عليه عام 1950).

لم استطع البقاء في المدرسة اكثر من سنة (الشويات/ شارل سعد). وفي احد الايام جلس بجانب مورييس متري عازار من بشامون (كان أعلى مني بصفين واكبر مني باربع سنوات) ووضع في محفظة كتبي كتيب شرح المبادئ السورية القومية الاجتماعية بقلم انطون سعادة. قرأته مرات عدة ثم قرأت المحاضرات العشر، وبعد بلوغي الخامسة عشرة بواحد وعشرين يوما اقسمت يمين الانتماء.

والآن يا معلم، بعد سبع وخمسين سنة، وبعدها قرأت اكثر ودرست اكثر، وسمعت ورأيت اكثر، وبت افهم اكثر، فاني اشهد:

انك المصدر والمرجع والقاعدة.

انك الاقدام والنهضة الواعدة.

انك الفرح والسعادة الآتية.

أنك النبوغ الواحد الاحد، انطون خليل سعادة!

## العنوان: رسالة إلى أنطون سعادة: هنيئاً رحيلك المبكر يا معلم

الكاتب: سعد مكرم

حضرة الزعيم،

مضت السنة التاسعة والخمسون على رحيلك وها نحن بعدك لا نزال نسير الى الأمام القهقري. أجل يا معلم، رغم أن القيادات المتتالية بعد الثامن من تموز 1949 تدعي انها تقدمت خطوة او خطوتين الى الأمام.

في هذه الرسالة يا حضرة الزعيم، تجدر الإشارة الى المحطات المهمة في تاريخ الحزب بعد رحيلك ولك أن تتأمل وتحكم.

جاء في كتاب "نشوء الأمم" (انطون سعادة، ص141 – 143): (الثأر يؤلف وجهة الحقوق الجزائرية الوحيدة في الشعوب البدائية الأولية المنحطة (...))، الثأر ليس للقصاص من أجل العدل الاجتماعي وقد أدى تأصيل عادة الثأر والمغلاة به الى حروب كثيرة". صيف 1951 قام ثلاثة مسلحين باغتيال رياض الصلح رئيس وزراء لبنان على طريق المطار في الاردن. وصباح اليوم الثاني للاغتيال صدرت جريدة الحزب في دمشق بعنوان "خذها من يد سعادة"، قليلون هم من يعرفون أن لا يد لسعادة في تلك الحماقة.

ربيع 1955 قام جنديان في الجيش الشامي باغتيال عدنان المالكي الجنرال في الجيش نفسه. الجنديان هما عضوان في الحزب السوري القومي الاجتماعي. أعدم الجنديان في ما بعد وسجن وشرّد أكثر من عشرة آلاف حزبي ومواطن بينهم الأمينة الأولى جوليت المير التي أمضت في السجن أكثر من عشر سنين. وبعد هذا الحادث اقتلع الحزب من الكيان الشامي ومن وجدان الطائفة المسلمة السنية. وتساءل أهل السنة لماذا نحن مستهدفون؟

رياض الصلح ثم عدنان المالكي.

عام 1956 كشفت الحكومة الشامية عن مؤامرة لقلب نظامها مصدرها الحزب القومي ونظام الحكم في العراق بقيادة نوري السعيد وحلف بغداد.

عام 1958 انحاز الحزب الى كميل شمعون وحلف بغداد ضد قوى تُدعى وطنية. قاتلت عناصره مقاتلي الحزب التقدمي الاشتراكي في بلدي شملاّن وعيناب، مع العلم أن هذا الحزب هو العلماني الثاني والوحيد في لبنان بعد الحزب القومي، وأن كمال جنبلاط هو النائب والسياسي الوحيد بين سبعة وسبعين نائباً ومئات السياسيين والوزراء، الذي سعى الى منع القتل عنك، فزار رئيس الجمهورية وطالب بمحاكمة عادلة وعلنية لك، وبعد ذلك استجوب الحكومة في مجلس النواب فهاجمها ودانها. هل لنا أن نتصور كيف كان سيبدو لبنان، لو اتاحت فرصة بناء جسر علماني بين ضهور الشوير والمختارة؟

ليل 1961 – 1962، قامت قيادة الحزب بمحاولة انقلابية على نظام الحكم اللبناني ولكنها طبعاً فشلت في كيان الثماني عشرة طائفة.

نتيجة هذه الرعونة قتل العشرات وسجن وشرّد عشرات الآلاف وطرد الآلاف من وظائفهم.

بين 1962 و1969 بقي الحزب دون قيادة مركزية فاعلة خارج السجن، بل تابعت قيادة الانقلاب الفاشل تدير مباشرة

ومداورة ما بقي من الحزب من داخل السجن.

عام 1969 جيء بسليمان قبلان فرنجية رئيساً للجمهورية فأفرج عن السجناء القوميين ليس محبة بهم بل نكاية بفؤاد شهاب وتياره.

عاد القياديون انفسهم مع جذورهم في حرب 1958 وحلف بغداد ونوري السعيد وكميل شمعون، عادوا يتحكمون بالحزب والقوميين.

تحت ضغط الصف تشكلت محكمة حزبية للتحقيق والمحاسبة في المحاولة الانقلابية، لكن القيادة اجهضتها فأصدرت أحكاماً تافهة. طردت عميداً ثانوياً لا علاقة له بالقرار، ومنعت آخر من تسلم مسؤولية لمدة خمس سنوات (لم يتقيد بالحكم)، ولامت البعض. حتى هذه الأحكام لم تحترم فجاء بالرئيس نفسه أثناء المحاولة رئيساً جديداً.

هنا حصلت ما سمي "انتفاضة المنفذين"، فاحتل سبعة عشر منفذاً عاماً مركز الحزب في سن الفيل وعينوا مجلس عمداً واستمروا بضعة أشهر، ولكن الانقلابيين اجهضوا هذه الانتفاضة ايضاً وأتوا بالمسؤول الذي حكمته المحكمة الحزبية بالأل يتسلم اي مسؤولية، رئيساً.

طغ الكيل عند كثير من الرفقاء، فتحركت مجموعتان احتلت احدهما مركز الحزب وأخرى مبنى جريدة "البناء" تحت شعار "العودة الى سعادة". وأعلن عن اكثر من لجنة قيادية، ثم تم الرأي على اختيار الرفيق الدكتور وسيم زين الدين(••) (ابو واجب) قائداً للتحرك وكان نال السنة السابقة دكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا وعنوان اطروحته "الهلال السوري الخصيب والحواجر التي تعوق وحدته الاقتصادية والسياسية".

الدكتور زين الدين اغتيل فجر الثالث والعشرين من أيار 1975 عن سبعة وعشرين عاماً.

في الثمانينات من القرن العشرين كانت الساحة اللبنانية مليئة بالقوات والمخابرات الاقليمية والاجنبية، بعثية شامية، عراقية، ايرانية، اسرائيلية، اميركية، بريطانية، فرنسية.

في هذه الحقبة السوداء حصلت اضاءات في قتال المحتلين بمبادرات منفصلة عن القيادة المركزية كمنظمة "الزوبعة" و"المقاومة الوطنية" التي شملت بفاعلية حركتي "أمل" و"حزب الله" الشيعيتين والحزب الشيوعي اللبناني وربما غيرها. الحزب القومي كان البادئ بالعمليات الاستشهادية ضد المحتل الاسرائيلي. ويحضرني الآن اسمان: وجدي الصايغ وسناء محيدلي، اللذان فجرنا نفسيهما في مواقع وقوافل اسرائيلية وأوقعا عشرات القتلى والجرحى بالعدو. وتبعهما عشرات الأبطال الشهداء. لأسباب لم تكشف بوضوح حصل اشكال في عمدة الدفاع بين العميد ووكيل العميد، انتهى فيه العميد قتيلاً.

ابلغني رئيس الحزب عصام المحاييري على الهاتف عندما سألته عن الحادث مساء ذلك اليوم في مونروفيا – ليبيريا، وكان عدد من الرفقاء ينتظرون حولي: "أن الساعة الآن في دمشق هي الرابعة صباحاً، ولقد اختتمت جلسة مشتركة للمجلس الأعلى مجلس العمد وقررنا أن نستوعب الحادث".

سألت الرئيس: هل تعني أن عميد الدفاع المهندس محمد سليم لم يمت؟

فأجاب الرئيس: "عميد الدفاع سقط شهيداً، نقطة على السطر". وانتهت المكالمة.

"أبو واجب" لم يكن الأخير ولا محمد سليم.

في منتصف الثمانينات، انحصرت مقاومة الاحتلال الاسرائيلي بـ"حزب الله" بمساندة مادية وعسكرية غير محدودة من إيران، وضمن نظام البعث الشامي.

بضغط من الأمم المتحدة والجامعة العربية، دعت السعودية اطراف النزاع في لبنان الى مؤتمر في مدينة الطائف. وما كان لهذا اللقاء ان يطلع بنتيجة لو لم يشعر نظام البعث الشامي بأن الحالة اللبنانية قد نضجت وحن قطاقها بوجود أربعين ألف جندي شامي على الأرض عدا المقاتلين في منظمتي "الصاعقة" والجبهة الشعبية – القيادة العامة وعناصر الحزب القومي، ويأتمر جميع هؤلاء بأوامر القيادة الشامية.

مؤتمر الطائف استبدل دستور الجمهورية اللبنانية، الذي نسخ عام 1920 عن دستور الجمهورية الفرنسية الثالثة العلماني، بدستور طائفي خالص.

يا للعار. فقد سالت دماء قومية اجتماعية على مدى خمس عشرة سنة لانجاز هذا الدستور الطائفي.

القول إن اتفاق الطائف أوقف الحرب الأهلية اللبنانية غير صحيح. فالحرب توقفت لأن النظام الشامي أخذ منها كل ما يستطيع، وبعدها أطلقت الولايات المتحدة يده في لبنان في مقابل اشتراكه في الحرب على صدام حسين.

دستور الطائف جعل حكم لبنان مستحيلاً، دون مرجعية تحسم القرار وتفرضه. وعلى مدى خمس عشرة سنة، كان الحسم لدمشق او عنجر حيث يقيم وكيلها منذ 1990 وحتى شتاء 2005. لقد اصبح لبنان في عهد الأسد الأب والإبن، لا عهد الهراوي او لحود ولا عهد الحريري او الحص.

ولو عكست هذه الحالة فعلاً ارادة الشعب لكننا اول المصنفين. اما ان يُحكم الشعب بالعنف والقمع والتسلط فلا. ان شعبنا يستحق ادارة افضل.

في النظام الجديد كان هناك دائماً دور يحمل اسم الحزب السوري القومي الاجتماعي.

هل مثل هذا الدور من فكر مؤسس الحزب ونهجه؟ غير مهم، المهم أن ولاء لاعب الدور يجب أن يكون للنظام البعثي الشامي.

كان رجل الأعمال اللبناني الناجح جداً في السعودية رفيق الحريري الممول لمؤتمري سويسرا والطائف، قد بدأ في لبنان برنامج منح جامعية لكل الطلاب المؤهلين دون تمييز طائفي في اكبر جامعات العالم.

طموحات الحريري السياسية في ما بعد اضفت الشكوك على مبادرته الاجتماعية التي لم يضاهاه فيها احد حتى الحكومات حيث صرف من أمواله على دراسة وتخريج ستة وثلاثين الف جامعي.

شغل الحريري منصب رئيس وزراء لبنان أكثر من مرة بين 1990 وحتى 14 شباط 2005 حين انفجرت عبوة ناسفة في موكبه فقتلته مع سبعة عشر آخرين بينهم وزير.

اصابع الاتهام اشارت الى دمشق، وشكل مجلس الأمن الدولي محكمة للنظر في الحادث وملابساته. وحتى الآن لم ينته

التحقيق.

وقبل اغتيال الحريري، حصلت محاولة اغتيال نائب الشوف وعضو مجلس ادارة "النهار" مروان حمادة الذي نجا بأعجوبة. وتوالى الاغتيالات: سمير قصير الكاتب المميز في "النهار"، جبران تويني نائب بيروت والمدير العام لـ"النهار" والكاتب الجراح، نائب بيروت وليد عيدو ونجله المحامي خالد، النائب والوزير بيار امين الجميل، النائب انطوان غانم وعشرات المواطنين الأبرياء. وقد اعتبرت هذه الاغتيالات جميعها اراهابي وأحيلت ملفاتها الى المحكمة الدولية.

•••

منذ أصبح الحزب القومي جزءاً من النظام الطائفي اللبناني، كان دائماً أحد اذرعة النظام البعثي الشامي. لا فرق من كان في رئاسة الجمهورية او البرلمان او الوزارة. ولا فرق من كان رئيساً للحزب. فإرادة الحزب اصبحت منذ السبعينات مرهونة لمن يؤمن الوظائف والرواتب. وبعد دخول الجيش الشامي وسيطرته بات واضحاً من يدير الحزب والرؤساء فهؤلاء هم اداة يحركها قائد الميليشيا الموثوق جداً من دمشق مهما تبدلت لقاؤه. كما تطورت طبقة من محترفي المسؤوليات لا مهنة لهم ولا عمل ولا دخل مادياً، همهم الحفاظ على الوظيفة والراتب.

وكان نظام الشام يعول ايضاً على كتلتي "أمل" و"حزب الله" الشيعيتين.

منذ الثمانينات وحتى أوائل التسعينات، كانت هاتان الحركتان تتنافسان على النفوذ في الطائفة الشيعية. وكانت ايران تساند "حزب الله" ودمشق تساند حركة "أمل"، وقد وصل التنافس الى النزاع بالاسلحة. ولكن في التسعينات استطاعت ان تتحالفا وتولفا اكبر وأقوى جبهة سياسية وعسكرية في الكيان اللبناني. كثف "حزب الله" هجماته على العدو الاسرائيلي وعماله في جنوب لبنان، وكبده خسائر فادحة لم يكن يتوقعها مما اضطره الى الانسحاب عام 2000 الى ما وراء الحدود من طرف واحد، فاكسب "حزب الله" صدقية وتأييداً كبيرين. لم تنسحب اسرائيل من مزارع شبعا وتلال كفرشوبا، كما لم تفرج عن اسرى لبنانيين مما برر للحزب الاحتفاظ بسلحه ومناوشة اسرائيل عبر الحدود.

في 12 تموز 2006 هاجم مسلحون من "حزب الله" دورية اسرائيلية عبر الحدود فقتلوا وجرحوا عدداً من اعضائها كما اسروا جنديين وعادوا بهما الى داخل الحدود اللبنانية.

ثارت اسرائيل كالوحش الجريح، وشنت هجوماً بكل انواع الاسلحة من البر والبحر والجو، وتوقع العالم ان تنتهي عملياتها خلال ساعات او أيام، فتعيد الاسرى وتلقن "حزب الله" درساً لن ينساه.

مقاتلو "حزب الله" - ابناء شعبنا - أذهلوا العالم بصمودهم وقتالهم. كانت اسرائيل تعلن عن احتلال قرية او موقع، ثم تضطر الى التراجع باعلان تجدد القتال في المكان نفسه وتكبدها خسائر في الارواح والمعدات.

وللمرة الاولى منذ تأسيس الكيان الصهيوني، لم ترحب اسرائيل بالحرب رغم المساندة الكبيرة من الولايات المتحدة. ولقد دامت هذه الحرب ثلاثة وثلاثين يوماً، وتعتبر اطول حرب خاضتها الدولة الصهيونية منذ نشأتها، وقد تساقطت خلالها القذائف والصواريخ على اسرائيل وأجبر نصف مليون يهودي على النزوح.

اسرائيل هدمت بيوتاً وقتلت اكثر من ألف مواطن بين شيخ وامرأة وطفل، ولكنها لم تكسر ارادة المقاتلين ولا حررت اسراها.

مما لا شك فيه أن "حزب الله" هو حزب طائفي مذهبي واعضائه شيعة وقد تأسس عام 1983 لمقاتلة الاسرائيليين، وكان

لمسؤولين وضباط إيرانيين اليد الطولى في تأسيسه. فهل يستطيع "حزب الله" إقناع اللبنانيين وطمأنتهم الى ان مشروعه هو فقط للتخلص من الرجز الاسرائيلي، ولا يشمل حالة طائفية مذهبية خاصة به؟

هناك من يميل الى المجازفة والافادة من ايجابيات الحزب ومعالجة سلبياته في حينها، اذا ظهرت.

اسرائيل هزمت واذلت امة بكاملها، وعالمأ عربياً، وقد عجزت جيوش مصر والاردن والشام عن لجم قواتها.

ان صمود "حزب الله" في جنوب لبنان ومنع اسرائيل من تحقيق اهدافها، كان نسمة هواء نقية لأمة سئمت تنفس الهواء الموبوء.

هل يستطيع "حزب الله" تطوير مشروعه الطائفي المذهبي الى مشروع وطني يمكن ان يشارك فيه اكثرية اللبنانيين؟ وهل يرغب الحزب في ذلك حقاً؟

يا للاسف بعد حرب تموز 2006 لم يحصل التماسك المرجو على الصعيد اللبناني الداخلي، بل ادت الممارسات الى انقسام سياسي وطائفي كاد ان يقضي على ايجابيات هذا الانجاز التاريخي، والسبب هو التناقض الفاضح بين منطق الدولة ومنطق المقاومة.

فاجأت الحرب الحكومة، رغم وجود ستة وزراء شيعة فيها، ثلاثة لحزب الله" واثنان لحركة "امل". وكان على الحكومة ايضاً تحمّل تبعات الحرب المادية الكبيرة لتعويض الاهالي، وتجديد البنى التحتية، واعادة بناء او ترميم الطرقات والجسور وسائر المرافق العامة.

كما حقق "حزب الله" صموداً وقتالاً مشرفاً بفضل المساندة اللامحدودة التي وقّرها نظاما الحكم في كل من طهران ودمشق. ولهذين النظامين مصالح لا تلتقي دائماً ومسيرة الحكومة بل تتناقض معها. وبسبب الخلاف على صيغة وصلاحيات المحكمة الدولية الخاصة باغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري، وربما لاسباب اخرى قد نجهلها، استقال الوزراء الشيعة من الحكومة اللبنانية بقصد اسقاطها وتشكيل اخرى يحكمها منطق المقاومة.

لم يقبل رئيس الوزراء استقالة الوزراء الشيعة ولا استقالة وزير آخر يُحسب على رئيس الجمهورية اميل لحود، فاستمرت بأعمالها. ورغم ان الدستور يسمح بذلك لان عدد المستقلين لم يبلغ الثلث، فإن الواقع الطائفي في لبنان ليس بهذه البساطة.

المشهد السياسي في لبنان يختصر: هنا اكثرية نيابية تريد ان تحكم البلاد بحسب برنامج معين. الاكثرية تتألف من "تيار المستقبل" بقيادة سعد الدين الحريري نجل رئيس الوزراء المغدور ويمثل اكثرية السنة، والحزب التقدمي الاشتراكي وجبهة نواب وُلد جنبلاً (اكثرية درزية)، ثم الكتائب سمير جعجع، الذي قضم جزءاً من الكتائب واسماها "قوات لبنانية"، ويمثل هذان التنظيمان المسيحيين – حتماً اقل من النصف. هذا التجمع الاكثري يطلق عليه الموالاتة او قوى 14 آذار.

المعارضة تشمل حركة "امل" و"حزب الله" اللذين يمثلان الاكثرية الساحقة من الطائفة الشيعية، ويتعاطف معها عدد كبير من المواطنين من كل الفئات، لبطولة مقاتلي "حزب الله" في وجه اسرائيل (هذا التعاطف قد لا يترجم مساندة سياسية). وقد التحق بصوف المعارضة في ما بعد "التيار الوطني الحر بقيادة الجنرال المتقاعد ميشال عون الذي كان قائداً للجيش وقد عيّنه الرئيس امين الجميل في ربع الساعة الاخيرة من ولايته رئيساً للوزراء ليحكم لبنان في غياب رئيس جمهورية ماروني. ولم يأبه الجميل آنذاك لوجود رئيس وزراء اصيل هو الدكتور سليم الحص اللاطائفي والمتزوج من مسيحية.

شَنّ عون حرباً على القوات الشامية آنذاك سميت "حرب التحرير"، وحرباً أخرى على سمير جعجع ومجموعاته سميت "حرب الإلغاء".

النتيجة كانت إلغاء عون لنفسه من الساحة اللبنانية (موقتاً) ولجوءه الى فرنسا.

بعد انسحاب القوات الشامية من لبنان، على اثر اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري وضمن صفة تأليب القوى المعارضة للشام، سُمح لعون بالعودة وافرغ عن سمير جعجع من السجن، وعاد الاثنان ليتصدرا واجهة المارونية السياسية.

عون يترجّح بين المارونية والعلمانية، بحسب الاجواء السياسية وكان هاجسه الكبير ان يصبح رئيس جمهورية لبنان الشرعي. فهو يغري الموارد بالغاء اتفاق الطائف واستعادة امتيازاتهم السابقة مع علمه ان ذلك مستحيل ولن تسمح به الطوائف الاخرى. قد يكون عون ارعن ولكنه ليس غيبياً. فقد عقد تحالفاً مع "حزب الله" بعدما فشل في تبوء مركز قيادي مع الاكثرية، والحزب كان في حاجة الى تغطية مسيحية، فكان الاتفاق (التفاهم).

اخيراً اتخذت الحكومة اللبنانية قراراً بالغاء شبكة اتصالات خاصة بـ"حزب الله" وآخر بعزل مدير جهاز امن المطار لانه متعاطف مع الحزب وتغاضى عن مراقبته حركة المطار ونصب آلات تصوّر هذه الحركة.

ادعى "حزب الله" ان هذا الاجراء يهدد وجوده ففعل ما وعد مراراً بأنه لن يفعل، ادار سلاحه الى الداخل، واحتل خلال ساعات بيروت الغربية معقل سنة لبنان كذلك هاجم مواقع في الجبل منطقة نفوذ وليد جنبلاط واخضع بعضها.

وشاركت "حزب الله" في هجومه على بيروت الغربية ميليشيا الحزب السوري القومي الاجتماعي، فاقتمحت مبنى "المستقبل" واحرقته، كما سيطرت على مناطق الحمراء والصنائع والمزرعة.

رداً على ما حصل في بيروت، هاجم مسلحون من المذهب السني مركز تنفيذية الحزب القومي في مدينة حلبا – شمال لبنان، رغم دفاع القوميين، وتمكنوا من اقتحام المبنى وقتل احد عشر رفيقاً ومثّلوا بجثثهم كما لحقوا بالجرحي الى المستشفى وقتلوهم.

لم يشفع بالذين سقطوا من القوميين كونهم من الطائفة السنية. انهم شهداء للانتماء القومي اللاطناني.

بعد مضي شهر على أحداث بيروت والجبل وحلبا، بدأت أحداث جديدة في مدينة طرابلس بين باب التبانة وسكانه من السنة وبعل محسن وسكانه من العلويين. وتقول بعض التقارير الصحافية ان القوميين يقاتلون مع العلويين ضد السنة.

حضرة الزعيم،

اكاد اذوب حزناً واحترق غضباً وانا اكتب اليك هذه الرسالة. فدماء القوميين تسفك في الزمان الخطأ، والمكان الخطأ، وللمبدأ والغاية الخطأ.

اكثرت من السرد عن لبنان لان القيادات التي خلفتك حصرت اهتمامها في هذا الكيان، ثم استأنفت نشاطها في الشام بعدما وصلتها اشارة من النظام البعثي انه بحاجة الى ثقل علماني ليوازن الحملة الطائفية التي يقودها "الاخوان المسلمون" ضده، فانضم الحزب القومي الى جبهة يشرف عليها النظام وبديرها، وتشمل الشيوعيين والناصرين والقوميين بقيادة حزب البعث القائد والحاكم منذ اكثر من اربعين سنة.

اما فلسطين التي تركتها جرحية تنزف، فلقد عمق جرحها وزاد النزف، والصهاينة ازدادوا وحشية واجراما.

كثرت جروح الامة يا معلم وكأن الشاعر كان لسان حالها عندما قال:

وصرت ان اصابتني سهام

تكسرت النصال على النصال

العراق استبدل الحكم الهاشمي النور – سعيدي بحكم الرجل الواحد المستبد تحت شعار حزب البعث العربي الاشتراكي الذي استمر اكثر من ثلاثين سنة وتورط في حرب مع ايران دامت ثماني سنوات بوحى من اميركا والغرب، كما انه محتل اليوم منذ 2003 من الاميركيين والبريطانيين وبعض حلفائهما. ولقد قضى حتى الآن لا اقل من مليون عراقي.

الاردن لا يزال كما تأسس، دولة عازلة تحمي اسرائيل من هجوم دولة موحدة قوية.

نجمة الهلال لا تزال مكانها، يا حضرة الزعيم، ولكن أبى الانقسام الا ان يشملها. ففي مؤامرة حاكتها المخابرات الاميركية في سبعينات القرن العشرين قام الاتراك بغزو شمال الجزيرة واحتلوه وما زالوا.

•••

في مراجع نقدية لواقع حركتنا القومية الاجتماعية من خلال ما تقدم، قد نقبل بما يبرر بعض الاخطاء السياسية والتكتيكية، دون العقائدية منها، التي وقعت فيها القيادات المتتالية للحزب منذ تاريخ استشهاده في الثامن تموز 1949 ومروراً بالخمسينات من القرن الماضي، لكونها كانت تنقصها المعرفة والخبرة في ادارة الشؤون العامة، والتنظيمية. غير انه ماذا يبرر تكرار الخطأ او الاخطاء في الستينات والسبعينات والثمانينات وحتى يومنا هذا؟

اننا اذ تلقى الضوء على بعض الاخفاقات والانتكاسات، فلكوننا نأمل في ان تصير اعادة نظر في عملنا وسلوكنا الاجتماعيين، علنا نستعيد الدور الذي تمليه علينا تعاليمك السامية فنستعيد معها الوجهة الصحيحة لاداننا القومي الاجتماعي.

رحيلك المبكر يا معلم اعفك من الألم والأسى اللذين يعانيهما الشرفاء الاوفياء المخلصون من ابناء امتك.

ان الرفقاء الذين اقساموا قسم الولاة للمبادئ الثلاثة عشر وللمؤسس الزعيم، يرفضون الذيلية والتبعية ويتمسكون بتعاليمك السامية.

هنيئاً لك رحيلك المبكر يا معلم.

هنيئاً لك، لم تر من يحملون لواءك ويسيروا على غير طريقك

هنيئاً لك لم تسمعهم يدعون العفاف.

## العنوان: أنطون سعاده شهيد تموز كما عرفته

الكاتب: يموت أبراهيم

كان سعاده شهيد مواقفه من الصهيونية واسرائيل. ولقد اشتركت اسرائيل بالذات اشتراكاً موثقاً مع بعض الأنظمة العربية والولايات المتحدة في جريمة اغتياله. وعلاقة اليهود والصهيونية بالولايات المتحدة عضوية وطاغية. فنجمة داود المسدسة ترتفع على الخاتم الرسمي للدولة الاميركية، كما تنصدر النجمة شعار الدولة المرفوع في سفارات العالم كلها.

واكبت الحزب السوري القومي وانا طالب في الجامعة الاميركية وقبل ان يسمح لي بالانتماء اليه. وتابعت محاكمات زعيم الحزب واركانه وأحتفظ اليوم بعدد "المعرض" الممتاز الصادر عام 1936 لصاحبه ميشال زكور وفيه مقال لأنطون سعاده عنوانه "ما دفعني الى انشاء الحزب"، كما صدرت في ذلك العدد مقالات لبعض قادة الحزب آنذاك كنعمة ثابت وعبدالله قبرصي وزكي النقاش وصلاح لبكي وجورج حكيم ورشدي معلوف وغيرهم.

بعد الانتماء الى الحزب مطلع عام 1938 كان لي حظ التعرف الى سعاده شخصياً في ذلك العام خلال اجتماعات لمنفذية الجامعة الاميركية التي كان سعاده يوليها اهتماماً خاصاً ويحضر اكثر اجتماعاتها، واهتمت بتسجيل ملخص لكل ما قاله في هذه الاجتماعات نشرتها في الكتب التي اصدرتها ومنها كتاب "الحصاد المر". وبعد الاجتماع الاول اصبحت اشعر بفخر واعتزاز لأنني تعرفت الى زعيم الحزب وتحادثت معه واستمعت الى شروحه واعجبت بمنطقه وتواضعه. لم يكن ذلك القائد الصارم، الشديد البأس، وانما كان الانسان الذي يمازج المستويات الفكرية المتفاوتة، وكانت اجتماعاتنا تنتهي بالخروج معه الى الشارع ومتابعة الأحاديث ونحن نتحلق حوله.

ومن تلك الاجتماعات كان اجتماع في بيت زكريا اللبائدي لمناسبة عيد مولد سعاده، وقد حضر سعاده باللباس الحزبي الرسمي – قميص رصاصية دون قبة على بنطلون غامق اللون مزوم عند الاسفل – وارتجل خطاباً تضمن سرداً تاريخياً للحدث التي سبقت نشوء الحزب ومنها الفتوحات المتتالية. واستغرق الخطاب ساعتين ويزيد، وهو مسجل في مجموعة "الاعمال الكاملة". وقد قرر سعاده ان يغترب موقتاً عند نهاية ذلك العام بعدما ضيق الفرنسيون المحتلون عليه السبل وتعرض للأخطار. وقد طال اغترابه بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية.

كان سعاده يتعامل مع العداوات السياسية بمحبة وتسامح، اذ لم يكن يسعى ليلغي احداً وإنما لارشاد المواطنين. وحدث ان صرح الشيخ بيار الجميل رئيس حزب الكتائب، "الفالانج" آنذاك، انه يريد أن يكسر راس انطون سعاده. وحين تعرض الرئيس الجميل لاعتداء بالضرب من الدرك عام 1937 أرسل اليه سعاده باقة زهر الى مستشفى. وحين سئل عن تلك البادرة قال: "ان الشيخ بيار طلب كسر رأسي، وأنا أطلب سلامة رأسه، وما هو إلا مواطن تعرض لاعتداء فواجبنا ان نقف بجانبه".

عند عودة سعاده من المهجر في 1947/3/2 ألقى خطابه التاريخي في بيت مأمون أياس عند أول طريق مطار بيروت الحالي. وكنت حاضراً على الشرفة نفسها التي ألقى خطابه منها بصفتي من مسؤولي الحزب. وأذكر ان سعاده انصرف بعد إلقاء الخطاب الى مقابلة بعض المسؤولين في الحزب وكان لي حظ ان أقابله، فسألني عن نشاطي الحزبي وعن المخيم الذي كنت اشرف عليه في ضهور الشوير سؤال العارف بدقائق مسؤولياتي. وحين اضطر الى التواري بسبب اصدار مذكرة توقيف بحقه استقر في ضهور الشوير قريباً من المخيم القومي فكان لي حظ حضور الكثير من لقاءاته مع سياسيين وعقائديين كان يعين لهم المواعيد في المخيم، وكان يأتي حاملاً رشاشه المتدلي على جانبه.

وبفضل مسؤولية خاصة كلفني إياها سعادته وهي ادارة المكتب الأعلى المختص (م. أ. م.) بجمع معلومات سياسية واجتماعية في الوطن كان لي حظ ان اجتمع بسعاده اسبوعياً لمناقشة ما يتجمع لدي من معلومات. وقد استمعت شخصياً الى كل محاضراته العشر، وشاهدته يرسم على لوح اسود خطوط معركة هنيبعل في "قاني" جنوب شرق ايطاليا ويشرح كيف انتصر جيش قرطاجنة المتماسك على جحافل الرومان وعلى أرضهم، وأبداها بعدما استدرجها الى مضيق من الجبال. وقد دخلت تلك المعركة كتب التاريخ العسكري.

كان سعادته يتصرف في حياته العامة والخاصة كقائد وأب يرعى القوميين كأبناء له. وكان يظل على مسافة تفصله عن اقرب المقربين اليه، ويقترّب من الرفقاء والمقربين بقدر ما يسمح لهم هو بذلك. ومع زوجته وأولاده هو رب عائلة تشعر بحنوه حين يحتضن احدي بناته او يجلسها على ركبتيه في مناسبة اجتماعية، ويخاطبهن باللغة العربية الفصحى المبسطة ويخاطبهنه هن باللغة نفسها، ويضع على صدورهن بطاقات تعريف كالكبار. كان يريد ان يدخلهن الى الحياة العامة من طريق النظام، ويصغي اليهن بحنان وبغير ابتذال. وكان تفسيره لاعتماده اللغة الفصحى المبسطة هو ان في لبنان، كما في بقية الكيانات السورية الاخرى، لهجات محكية متفاوتة لذلك تشكل تلك اللغة واسطة جيدة للتفاهم. وكان يتحلى بروح عالية من النكتة الذكية الهادفة حين يجد مناسبة لها.

كان يعطي القضايا العقائدية والفلسفية والاقتصادية ما تستحقه من اهتمامه. وكان يطلب من المسؤولين الحزبيين الا يعتمدوا عليه بالكلية، وألا يوافقوا على كل ما يقوله او يصفقوا بل ان يناقشوه ويهتموا بتوليد الأفكار والاعتماد على انفسهم في حل مشاكل الحزب اليومية. كان يقول: "دعوني انصرف الى التأليف ووضع الكتب والقواعد المفيدة للقضية. واحملوا انتم على عواتقكم قضايا الحزب الادارية لأتمكن انا من الانصراف الى الامور العقائدية والتاريخية. لا اريد ان يقال ان الزعيم هو كل شيء في الحزب وانه اذا غاب زال الحزب".

كانت نشاطاته تسبب له مشاكل صحية يحاول ابعادها ليظهر مظهر القائد والزعيم.

وكانت الامينة الاولى زوجته، وهي الممرضة المتمرسه، تخفف عنه هذه المشاكل.

وظهرت مقدراته الادارية والتنظيمية والتدقيق في ممارسات المسؤولين في محضر اجتماع لمجلس العمدة كلفني تدوينه وظهر في كتاب "الحصاد المر".

كان سعادته قدوة في تصرفاته، واضحاً في تعاطيه والآخرين. يحترم الجميع، ويتجنب ان يمس شعور احد، او يقلل قيمة احد، ويعامل الجميع برقة وحنان. كان له مهابة، وسحر، ونظر ثاقب. وقد كسب احترام الحزبيين بفعل قناعة ذاتية لا يداخلها خوف او رهبة.

اتخيله اليوم وهو يمشي مشواره اليومي في شارع ضهور الشوير الرئيسي وامامه كلبه "ديك" الأبرش المطوق من فصيلة الكلب الذئب، يربت رقبته بتودد ويتوقف بين وقت وآخر مع بعض المارة من الرفقاء والاصدقاء يتجاذب معهم الحديث.

ومع ان لا شيء يعوّض وجود سعادته الجسدي، رغم الإرث الكبير الذي تركه، فان أملنا ان ترافقنا ذكراه واعماله في سيرنا النضالي الطويل. فهو رائد وحدة الهلال الخصيب الطبيعية وشهيداً في وجه الهجمة الصهيونية التي رآها، منذ نحو قرن، آتية لتكون كيانات الهلال مسرحها.

## العنوان: النقد الذاتي والزوبعة

الكاتب: الحسيني هاشم كاظم

كل انسان واع قادر على التحليل واعادة النظر، يصل دوماً الى مكان معين في وجوده، يحاول فيه تقييم ايمانه واعادة النظر في آراء تبناها، ولعل هذا من أبرز ما يفتقده مجتمعنا، انطلاقاً من نواته اي الافراد وصولاً الى التجمعات المختلفة، فوعي الامة لذاتها، ولهذا اسباب كثيرة، أهمها تجذر المقدس في وعينا على مدى تاريخ من حكم النصوص وخوفنا الدفين من مواجهة المطلقات ومن التشكيك فيها او نقدها الموضوعي.

هذا الخوف الذي قاد شعوبنا الى الايمان بكل المطلقات والى قمع التمرد عليها لأن اغلال الآلهة ما زالت معالمها واضحة على يديه هو ما حولنا الى مجرد قطعان تسعى دائماً الى وجود راع يوجهها على طريق الخوف في مجتمع أبوي، وعلى ان ترفض دائماً خوض غمار التجربة، لأن نتائجها قد تختلف عن مضامين النصوص المقدسة.

ولعل ابرز ما ميز الحقبة التي عاش فيها فكر انطون سعادة منذ بدء النهضة الى اندثارها، هو وجود امكانات ومحاولات تمرد، الا ان الصفة العامة كانت قصر النظر، فجميع المتقنين الذين نادوا بالتغيير اكتفوا في تمردهم بالوصول الى آخر نقطة تلامس حدود المقدس، ايماناً منهم بأنه لشرقنا قوة خفية او الهاً خاصاً او لأن شجاعتهم اكتفت بالتوغل في اعماق ملامسة المطلق دون اختراقه.. ولعل انطون سعادة من ابرز الامثلة على ذلك، حيث اكتفى بالفلسفة الالمانية المطلقة، لأنها أكثر قبولاً في أنفسنا وتعايش مع المقدسات، مطبقاً بذلك ربما دون قصد فتاوى اصلاحيي النهضة بتشريع ما يلائم جسد الشرق من انتاج الافكار الغربية وتحريم ما دون ذلك، وفي ذلك خطوة ناقصة، كان لا بد من اعادة النظر فيها لا التوقف عندها، فالجواب عن سؤال: هل الحقيقة مطلقة أم نسبية؟ كانت مطلقة في فلسفتنا، وذلك يتبدى أشد الوضوح في الحديث عن المناقب السورية. في حين نكتشف مدى نسبيتها كل يوم.

أتوقف عند هذه النقطة قليلاً لأسأل: "هل خضت غمار المقدس في الحزب حين ذكرت وجهة نظري؟". هل من المسموح لاعضاء الحزب مناقشة النص؟ هل النهضة والفكر الجيد يتحولان الى نص ودستور ام انهما عملية تتطور وتتكيف مع الزمن؟ هل وصف انطون سعادة بنظرته الاستثنائية موضوع قابل للنقاش ام انه قمع لافكارنا؟ هل "التشكيك" بمعناه الفلسفي في نظر حزب تقدمي مثل الحزب السوري القومي الاجتماعي لم يعد حالة صحية؟

أريد الانعطاف مما ذكرته الى وضع الحزب، فمنذ استشهاد سعادة تحول الفكر الحزبي الى مادة مقدسة، وقد ساهم اشخاص معنيون بالأمر بحدوث ذلك، انطلاقاً من جورج عبد المسيح وصولاً الى القيادة الحزبية الحالية. وذلك لتثبيت انفسهم في السلطة. ولتحويل الحزب الى طيعة اخرى. صحيح ان ما ينادي به قد يكون جميلاً وقد يكون أكثر تميزاً، الا انهم اكتفوا بذلك على كونها شعارات لا أكثر، يجمعون فيها الطبقة حين يريدون التوجه بها الى مكان ما.

كل مادة تقَدَسَ وبمنع المساس بها هي مادة جامدة ومصير الجماد الموت، وتفاقم العامل الزمني يقضي حتى على أمل الابعاث فيها. وقد نجحوا في أن يقتلوا المادة ويتربعوا على عروشهم الهرمية.

ولعل من ابرز الظواهر تهكماً وانحطاطاً هي ظاهرة النقد الذاتي. فالنقد الذاتي اصبح مجرد اعادة نظر سياسية بحتة عند الانعطافات السياسية، يعاد فيها تكرار الكلام، وتكون نتيجتها التعامل مع الواقع الجديد، طبعاً بشكل يضمن استمرارية "حكم الطبقة". في وقت النقد الذاتي هو اعادة نظر ايدولوجية، فلسفية، قيمية، لا شرط زمني لحدوثها ولا ترتبط بحوادث مرحلية، بل هي تدقيق بالايمان واعادة صياغة للفكر معلنة نهاية تجربة وبداية اخرى. فالفكر المميز هو الفكر القابل للاستمرارية غير المحفظ في صفحات عدة، غير البيغوي، بل فكر يستمد استمراريته من تجربته ومن التشكيك في كل ما يتضمنه ليصل في كل مرة الى حالة أفضل وأفضل، وهكذا الى ما لا نهاية.

فمن غير الممكن ان يولد الشيء كاملاً لكل الازمان، ولعل الشيء الوحيد كان الكتب السماوية والحجة الفلسفية كانت ربانية او ما ورائية ونحن هنا لسنا في صدد فكر ما ورائي.

موقفي ليس من سياسة الحزب، فهذه رغم اختلافي معها، ظرفية، مرحلية، الا انها تستمد شرعيتها من اشخاص اقل ما يقال فيهم أنهم يستمدون شرعيتهم من جماد النص وتقديس الدستور.

حالة الحزب السوري القومي الاجتماعي اصبحت كحالة المجتمع السوري والعربي، بعدما كانت محاولة للاختلاف عنهم. وبدل ان تكون حالة فكرية تحارب اغلال المقدسات في نفوس شعوبنا، اصبحت نسخة اخرى عنها. قد كان مقدراً لها ان تصبح كذلك.

ايماني بالانسان اصبح اكثر تجزراً، والنظرة الرومانسية الى المجتمع بأشكاله القومية البحتة الصافية سقطت من اقتناعي خصوصاً في غياب مدارس قومية حقيقية بل اطلال مدارس قائمة على اعمدة نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين لم تنجح في متابعة تطورها. ولعل عالمنا الذي يحتاج اكثر ما يحتاج الى تكسير اغلال كل المقدسات التي تحكمه بدين او طائفة او مذهب او قومية، تنقصه رؤية الانسان بتجرد، بعيداً عن أو هام الخوف الجماعي وبعيداً عن سلطة النظام الابوي.

سأختم بمقتطفات من كتاب هشام شرابي "الجمر والرماد" (...) وقلت كذلك دون تردد موافقه الفكرية (سعادة) التي كنت بيني وبين نفسي أتردد في قبولها، مثل اسباغه صبغة الكلية على المجتمع واعتباره قيمة نهائية بحد ذاته... وان المجتمع يمثل الحقيقة الثابتة الباقية اما الافراد فيتساقطون كأوراق الخريف... وربما كان سبب هذا كله أنني لم أشعر بالنفور الذي اشعر به اليوم نحو كل نظام هرمي يقوم على السلطة الفوقية... أمنت بسعادة بأفكاري كلها ومشاعري كلها وكان بالنسبة الي القائد والبطل (الأب المثالي) احببته واحترمته كما لم أحب واحترم احداً آخر (...) " ص 97.

ويتابع: "كان لا بد لعلاقتي بسعادة وبالحزب ان تتحول من علاقة تابعة الى علاقة جدلية. هذا تحول محتوم فهو يتم نتيجة عملية نضج الفرد ونموه النفسي وتوصله الى مستوى معين من الوعي. اذ لا بد من ان تواجه القيم السلطوية نقيضها، في قيم العقل الناقد، وينهض الفكر حراً رافضاً مجرد الايمان اساساً للحقيقة التي يضم حياته حوله. وهكذا حصل". (ص 98).

## العنوان: ليت لنا بضعة من رجال من أجل قضية

الكاتب: مطر جي سهيل

لا أحد يستطيع الادعاء انه قومي اجتماعي حقاً. القومي الاجتماعي الوحيد هو انطون سعاده. والباقون، اذا صحت فيهم الارادة واستقام الضمير، هم طلاب قومية اجتماعية في احسن الحالات.

متى ادرك القومي الاجتماعي هذه الحقيقة تحررت ارادته وطلق عقله الاستكانة فتبرم بالقدر وشاغل من حوله.

ما من قومي اجتماعي ينزع الى الثقافة وتجسيد الثقة بأتمه وبنفسه ووعى حقيقة وجوده الا واتخذ هذا الاتجاه. والقومية الاجتماعية التي ارادها سعاده هي حركة ثورية، فهل هي هذه التي نعرفها وننتمي اليها، والا كيف يجب ان تكون؟

القوميون الاجتماعيون على امتداد الوطن (الا الذين استشهدوا فهم فوق الانتقاد والشبهات) كادوا ان يجمعوا مجمل المعايير التي وسمت تاريخ النهضة بسمة الفساد بعد استشهاد سعاده، واول ما يؤخذ على الكثرة الساحقة منهم هو انهم لا يعون حقيقتهم ولا يتقون بأنفسهم، ارادهم سعاده منصهرين في بوتقة معرفة واحدة فلم ينفذوا ارادته، مزقتهم الفردية والانانية فامتثلوا للمطالب وغفوها بكلمات معسولة لئلا يواجهوا انفسهم بالحقيقة التي تدين تقصيرهم الفاضح وتراجعهم الفكري والثقافي المعيب فاستوطنوا الانهازامية والتخاذل حتى نصّبوا عليهم بعضاً من جهلة التاريخ والجغرافيا وحتى اللغة، فكيف بالثقافة (الندوة الثقافية) التي ارادها الزعيم المرجع الفصل في كل شيء وقد عُيِّب بقصد او بعجز او بجهالة.

هذا الواقع المخزي يتحكم بالحزب منذ ما بعد استشهاد المؤسس، (من قومية لبنانية، الى عائلية، الى بقايا زعامات منقرضة سقط بعضها في الستينات وقبلها، وراهنأ بقايا مجلس اعلى عرفاتي التوجه وما سمي الطوارئ، التي قالت بالعودة الى سعادة ولم تمارس ابسط شروط هذه العودة)، وما بين هذه الفئات المتعددة التي تجمعت في "وحدة صفقة"، فئة صنيعة تحفظ بعض النصوص وتردها ببيغائية ممقوتة كالفريسيين والكتبة. هذه الفئات تنادي بوحدة الامة وهي منقسمة على ذاتها، وسط هذين التمزق الثقافي والتخلف النهضوي لا هوية لهذه الفئات إلا بالالتفاف على بعضها والانتساب الى العصبية والفئويات القائلة التي حذر منها مؤسس النهضة منذ البدايات.

وعلام الخلاف في ما بينهم؟ ومسيرة النهضة أثبتت حتى تاريخه ان ما من احد مهما علا شأنه تمكن من زيادة كلمة محفة واحدة على مبادئ المؤسس. خلافهم كان وما زال على حب السيطرة والظهور، على الاطماع وخطب ود اهل النفوذ للوصول الى التسلط الذي مارسه بعضهم وكانت لكل واحد منهم مكاسبه التي يخجل منها العقل الذي اراده سعادة سيداً للشرع في الانسان الجديد.

المطلوب اعلان حالة الطوارئ الثقافية والصراعية في آن في وجه هذا الاهتراء كله. المطلوب حركة ثقافية نهضوية مقاومة في وجه هذا الاسر للعقل المتجذر منذ امد، الذي ينشر الارهاب الفكري ويقيد الابداع ويقمع حرية ممارسة العقيدة والحفاظ على ثوابتها ويقف في وجه تسطيح الامور وتبسيط شروط الانتماء الى النهضة حتى وصل الاستخفاف الى تجاوز مراسيم وضعها الزعيم وبخاصة شروط منح رتبة الامانة التي هي اعلى رتبة في الحزب.

ان من اسباب الضياع هو ضياع الهوية، لقد ضيَع البعض هويته او اجبر على ذلك تحت وطأة المغريات والتستر على ممارسات كان يجب ان تقمع منذ البداية. فالمفسدون لا يرقون ثقافياً وفكرياً وصراعياً الى زمن الشهداء الاوائل يوم كانت الشهادة لها مدلولها الصراعي والنهضوي، ويوم رسمت سياط الجلادين على ظهور الاسرى في سجون لبنان والشام الطريق

الى الحرية.

بعض القوميين استسلم فكاد يتبخر، والبعض الآخر مارس العناد فكاد يؤدي به الى التحجر. وبين التبخر والتحجر تعطلت مفاعيل الصراع والحياة معاً. فعندما تستحكم الجاهلية في النفوس، تتكون اسباب الضياع، فهل نظرا لصحاب الشأن الى نواتهم ووضع كل واحد منهم نفسه في موقعها المناسب؟ لا اظن ذلك سيحصل، ولو فعلوا لما رأينا الكثيرين منهم اليوم في سدة المسؤولية.

هذه المسميات التي اتخذوها لانفسهم هي كما يقال "ألقاب مملكة في غير موضعها..." مسؤولة عن ضياع الكثيرين ونفورهم، وقد دفع التحجر عند البعض منهم بالكثيرين للخروج من صفوف الحزب، ولا اقول النهضة، امثال المرحوم هشام شرابي، وغيرهم ما زال على قيد الحياة وبقلوبهم غصة وفي صدورهم حرقة الى ما آلت اليه الحال امثال ادونيس والصحافي الكبير غسان تويني الذي حاولوا توريطه بانتزاع شهادة حسن سلوك منه في محاضراته الاخيرة التي اقاموها في الجامعة الاميركية في بيروت، فكانت صفة لهم وللمدعين بأنهم تلامذة سعادة، فلو عادوا الى صلب ما قاله الاستاذ تويني في محاضراته لخلجوا من افعالهم وتخلوا عن سلطاتهم امام كبر سعادته وتعاليمه.

من ترى يعيد الى القوميين وحدة الروح التي شدد عليها سعادته؟ من ترى يعيد الى القوميين اصالتهم في القول والممارسة وثقتهم بأنفسهم ووعدهم لحقيقتهم؟

ندوة ثقافية تنقب في التراث الدفين فتبعثه من جديد، تندرج فيها ثوابت العقيدة وفلسفتها وقيمها وانسانيتها، تكون بوتقة انصهار لكل الافكار والآراء وحتى البدع التي ظهرت اخيراً، وتكون ايضاً منهلاً فكرياً وثقافياً لكل الهائمين هنا وهناك، او جامعة حكمة كما كانت الحال ايام المأمون في بغداد الجريحة اليوم، يوم كان الفكر والثقافة والابداع، وحدها قيمة على ثروتنا الحضارية.

ندوة ثقافية، او جامعة حكمة، تنتزعان النهضة من مخالب الفردية والمماحكات الشخصية وحب الظهور وتكشفان اصالة العقيدة وثوابتها من وراء اقنعة الزمن.

كل ذلك ليس نقضاً لقيم او خيالاً او جنوناً ما نعلنه وما نطرحه، والا فما اعقل الجنون، الواقعيون كثيرون، انما نحن في حاجة ماسة الى رجال ينهضون الى مستوى المستحيل، في الحزب عندنا ما لا يحصى وما يفيض من رجال المصالح. ليت لنا بضعة من رجال من اجل قضية.

الى ان يتحقق لنا ذلك سنبقى نحن بعض الافراد القلائل نعاهد الزعيم ان نقدم حياتنا للاستشهاد في سبيل اقامة ارادته وتعاليمه وانتصار نهضته في الامة كلها.

التاريخ: 27-08-2005 رقم العدد: 22408 الصفحة: 9 العمود: 4

## العنوان: لو قام سعادة من بين الأموات

الكاتب: ياسين ماهر

تمر العقيدة السورية القومية الاجتماعية في أحلك مرحلة في تاريخها هذه الايام وتواجه تحديات مصيرية لم تواجهها في بداية تكوينها وحتى في عز الهجمات الشرسة والمؤامرات التي مرت على تاريخ هذه العقيدة – الرسالة.

فبعد احتلال القوات الاميركية بلاد الرافدين وانهايار العراق كوطن وانقسامه الطائفي، وبعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري والفرز الطائفي الذي رافق الانتخابات النيابية اللبنانية ناهيك عن تعميق الشرخ في العلاقات اللبنانية الشامية ليستقر عميقا في نفوس الكثير من اللبنانيين والشاميين، يتراءى لكل سوري قومي ان ما كان في الامس حلما اصبح اليوم وهماً وسراباً مجرد التفكير فيه ضرب من الجنون.

عميقة هي مشكلات الامة السورية في كل مكان وبقعة منها، فقبرص التي تسبح بعيدا في فضاءها الاوروبي والتي بات السوريون القوميون يتحاشون ذكر نجمة هلالهم الخصب كي لا يثيرون ضحك الآخرين واستهزائهم اضافة الى انتشار التخلف الحضاري الاجتماعي والديني والثقافي والعلمي في كل انحاء سوريا الكبرى وتحول الانقسامات الطائفية والعشائرية الى كونها الحقيقة الوحيدة الباقية في هذه الامة وتمسك الجماهير التائهة بهذه الحقيقة التي يرون فيها تجسيدا لهوية وانتماء فشلت الانظمة الحاكمة في كل اقطار الهلال الخصب من ايجاد بديل جامع على المستوى القطري دون ان ننسى انتشار التطرف وثقافة الموت في امة كانت الحياة شعارها.

وبالانتقال الى حاملي لواء العقيدة السورية القومية الاجتماعية نجد ان المشكلة اعظم واخطر هناك. فالحزب السوري القومي الاجتماعي غائب تماما في العراق والاردن وفلسطين رغم فوضى الاحزاب والتنظيمات هناك حتى الشيطان قد تجد له حزبا هناك! فالحزب يقتصر وجوده على لبنان والشام حيث كانت تجربته في العمل السياسي كارثة على العقيدة السورية القومية الاجتماعية وعلى فكر سعادة الذي بشر فيه. فهل هناك كلمة غير الفشل نصف فيها عجز الحزب في لبنان عن ايصال نواب له الى مجلس النواب دون صدقات وعطاءات قوى سياسية اخرى طالما سخر الحزب من طبيعتها وتخلفها ودعا للقضاء عليها؟ وهل هناك كلمة اخرى غير الانتحار السياسي نصف فيها افعال الحزب في الشام؟ ولن ازيد اكثر من ذلك كي لا اقع في المحذور، دون ان ننسى عقم القيادات الحزبية وجمودها وتلبد تفكيرها وصبيانية اقوالها وفعالها وتحولها الى قوى تابعة واستمراءها لعب هذا الدور الرخيص.

في خضم كل هذا يخطر في بالي الزعيم انطون سعادة واتساءل ماذا لو كان سعادة حيا؟ ماذا لو قام سعادة من بين الاموات ورأى ما فعل تلامذته برسالته؟ وماذا لو رأى سعادة الحالة المزرية لامته السورية التي طالما آمن بعظمتها وبيقين نهضتها؟ امة عظيمة وشعب عظيم قرأناه في تراث سعادة ولم نجد له اثرا في الواقع. لم نجد غير امة ممزقة الاوصال سلبية الارض وشعوب متناحرة ممزقة تقاد كالقطعان الى حتفها دون احتجاج او تمرد. فماذا لو قام الزعيم وشاهد كل هذا الكم من السقوط والفشل؟ ماذا كان فعل وماذا كان قال؟

هل سيعيد سعادة النظر في بنية الحزب وتركيبته ويحاكم ويحاسب ويطرد من اوصل الحزب الى القاع؟ هل سيعيد النظر في عقيدته ويطورها ويحدثها بحيث تصبح قابلة للتبشير والتطبيق وجذب الاجيال الجديدة بشكل متلائم مع العصر وبحيث يبث روحا في ذاك الجسد الميت كي لا تموت الحقيقة وتنتوه في ذاكرة النسيان؟ ام ان تلامذته سينكرونه ويطردونه من حزبه بعد اتهامه بالخيانة والعمالة وبالخروج عن الخط القومي المقدس ويسلمونه لاعدائه؟

ام ان الزعيم قد يندم على قيامه من رقاذه ويفضل العودة الى مستقر خلوده فلا يجد غير الانتحار وسيلة للخلاص من الحياة في امة لا خلاص لها وبين شعب لا قيامة له؟ لكن بما اننا لا نتمنى للزعيم هذه المعاناة وهذا العذاب وبما انه لا امل في اصلاح هذا الحزب وهذه الامة نقول له: اهنأ ايها الزعيم في رقادك ودعك من حزب المومياوات هذا ومن امة الاموات هذه

ولتبقى للتاريخ ذكرى جميلة لنبي بلا امة ولنبي بلا رسالة فقد ضاعت الامة وضاعت الرسالة وابواب جهنم مفتوحة على مصراعها في وجه شعبك العظيم وامتك العظيمة.

التاريخ: 08-07-2004 رقم العدد: 22010 الصفحة: 23 العمود: 7

## العنوان: فاصلة 8 تمّوز 1949

الكاتب: شريح محمود

منذ ستة وخمسين بالتمام والكمال أفلحت الكولونيالية الانكليزية بمباركة من الرأسمالية الأميركية في إرساء دولة عبرية شرق السويس وعلى الساحل السوري نقطة ارتكاز للوصول الى نفط العربية ومياه الهلال الخصيب، ويفارق سنة، أي منذ خمسة وخمسين بالتمام والكمال، تمكنت الرجعة العربية من إعدام أنطون سعادة القائل إن الصراع مع الدولة العبرية حضاري، فيما بقاء وإما فناء، وإن الهوس الديني الضارب بين طهرانينا ببوقه الغليظ مردّه التعصب الأعمى عندنا وغياب العلوم الفلسفية والعملية عن أوساطنا الثقافية. وبغياب سعادة انقرضت والى الابد السلالة النهضوية في بلاد الشام مما فسح لتعنّات مذهبية أودت بها، فعَمّ الجهل المطبق وسرنا بعيداً في الضلال، فنشأت المفاضلة السقيمة بين إسلام ومسيحية، فبين سقوط القدس واحتلال بغداد دخلت بيروت في حمى الهوس الديني ولم تخرج منه إلا باندفاعها الى التّعني بالعفة في ظلال العهر والفجور، وما أن ضعفت الحكمة حتى أفلت المناقب، وكان ضعف الإدراك من نقص العقل، ولكل نبا مُستقر، ولكل أمر أو ان ولكل غرض تحت السماء وقت.

وها نحن بعد سقوط بغداد كالكرام في مآذب النوم، فكانّ الحملة الأنكلو - أميركية الشرسة على حضارة ما بين النهرين الغرض منها أولاً وأخيراً إحياء اتفاق سايكس - بيكو وإنعاش وعد بلفور، أي حماية الدولة العبرية في سياق تجزئة القوس السوري وسلخ هلاله الخصيب عن مناخه الحضاري من غزة الى البصرة. لكن على من تقرأ مزاميرك يا داود، وكان نسيب عريضة وقف في بروكلن في ذكرى بلفور منذ 80 ينعي العرب أجمعين، منذ ذلك الحين، ويتقبل التعازي:

"كقنوه!/وادفنوه!/أسكنوه/هوة اللحد العميق/واذهبوا، لا تندبوه، فهو شعب/ميت ليس يفيق/ذلوله،/قنلوه،/حمّلوه،/فوق من كان يطيق/حملّ الذلّ بصبر من دهور/فهو في الذلّ عريق"

هذا نعي عريضة [1887 - 1946] لنا قبل قيام الدولة العبرية بين طهرانينا بثلاثين ونزول الحملة الانكلو - أميركية على صدورنا بثمانين، وها اليوم "ليس تحيا الخطبة". من حمص الى الناصرة الى نيويورك كانت رحلة عريضة. تزامن وصوله الى المهجر الشمالي مع ولادة سعادة في الشوير، فلم يكن غريباً آنذاك الحس القومي وأن فلسطين جوهره، والدنيا آنذاك، أيضاً، هلال خصيب، ولا عجب أن تستلهم عقيدة سعادة الموروث النهضوي، موطناً ومهجراً، فتجدّه وتحييه وفق خطة فلسفية ومقاييس فكرية، وجاء بنظرية متكاملة تأخذ بعلم الاجتماع وتعزّز النفسية السورية منذ أبي العلاء، وكان سعادة رأى فيه "الشاعر الفلسفي السوري الخالد" [في مستهل "جنون الخلود"، في "سورية الجديدة"، سان باولو، 1941/1/22]، ورأى في أبياته:

وكورك فوق طويل المطا

وقد يفسد الفكر في حالة

سقاك المنى فتمنيتها

وسرجك فوق شديد القرا

فيوهمك الدرّ قطر السرا

وصاغ لك الطيف حتى انبرا

وصفاً بديعاً "حالة من حالات فساد الفكر".

فمعنى البيت الأول "مشهد رجل وضع الرّجل على ظهر الفرس، ووضع السّرج على ظهر البعير. ومن كان هذا شأنه لا يكون طويلاً شوطه" [تفسير سعادة]، فلا عجب ان شوطنا لم يكن طويلاً بين غزة والبصرة منذ 8 تمّوز .

التاريخ: 08-07-2004 رقم العدد: 22010 الصفحة: 13 العمود: 1

## العنوان: المحاكمة السورية لأنطون سعادة هل تعاد اليوم

### لإظهار حقيقة التهم وإعادة الاعتبار الى الزعيم ؟

الكاتب: ياغي صبحي منذر

صبيحة الثامن من تموز من العام 1949 انطلقت 12 رصاصة من فوهات فصيل الاعدام، لتنتهي حياة انطون سعادة، مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي، بعد محاكمته بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم بواسطة الثورة المسلحة، والاعتداء على الثكن وضباط الجيش وجنوده. وقد وصفت المحاكمة بانها صورية، وشبه البعض الحكم بعملية اغتيال، وقد بدأت ترتفع اصوات اليوم تدعو الى اعادة محاكمة سعادة، لانصاف الرجل، واظهار حقيقة التهم التي وجهت اليه.

رأت الامينة الاولى جولبيت المير، زوجة الزعيم انطون سعادة في مذكراتها "ان الدولة اللبنانية قررت في التاسع من حزيران 1949، ان تقضي على الزعيم، فجددت في صفوف الكتائبين بعض عناصر الامن، حين كان الكتائبون يقيمون حفلة في مقهى الجميزة، قرب المطبعة التي كان الزعيم يقصدها يوميا لتحرير مقالاته، فيذهب اليها في آخر ساعات النهار ويعود منها بين الثامنة والتاسعة مساء. وخلال الحفل الكتائبي عمدت عناصر عسكرية الى اطلاق النار على المطبعة فخرج الزعيم منها ومعه القوميون يحوطونه حتى السيارة التي كانت بانتظاره ونقلته الى خارج المنطقة، ومع ذلك ظل اطلاق الرصاص مستمرا على المطبعة وقيل لي في ما بعد انهم اطلقوا النار ايضا على سيارة الزعيم، ولكنها تابعت سيرها...".

لقد كانت حادثة الجميزة مدخلا للنظام اللبناني للقيام بعمليات اعتقال تطول عددا من الحزبيين القوميين. ففي حديث الى جريدة "الخبر اليوم" بتاريخ 13 حزيران 1949 يؤكد رئيس الحكومة رياض الصلح: "ان الحكومة اللبنانية كانت قد استعدت لحل هذا الحزب وحددت يوم السبت الفائت للقيام بذلك، ولكن حادث الجميزة، الذي وقع يوم الخميس اي قبل الموعد الذي حددناه بـ48 ساعة، جعلنا نقدم هذا الموعد لنقوم بعملية التطهير".

كما ان الزميل نجم الهاشم، يشير في كتابه "آخر ايام سعادة"، الى ان مجلة "الصيد" التي كانت قريبة من الحكم اللبناني اكدت انه كان من "المفروض يومها ان يكون انطون سعادة في طليعة المعتقلين"، ولكن على رغم سرية القرار تمكن سعادة وجورج عبد المسيح ومعظم اركان الحزب من الفرار. وحسب ما يرويهِ جورج عبد المسيح فقد ورد اتصال من القصر الجمهوري لطمأنتهم، ولكنهم غادروا منزل سعادة بعد مراقبة تحركات الجيش وقوى الأمن.

اللجوء الى سوريا

لجأ انطون سعادة الى سوريا، بعد قيام السلطات اللبنانية بمداومة منزله في رأس بيروت، واعتقال عدد من القوميين وتعرض البعض الآخر للملاحقة، وكانت سوريا وقتذاك برئاسة حسني الزعيم الذي قام بانقلابه العسكري في آذار 1949 وكان انطون سعادة موضع حفاوة وترحيب لدى حسني الزعيم الذي قدّم له مسدسه الشخصي، وامن له منزلا في دمشق.

التحضير للثورة القومية

بدأ انطون سعادة بالتحضير للثورة المسلحة القومية في لبنان، بالتنسيق مع حسني الزعيم، اذ يؤكد عبدالله قيرصي "ان حسني الزعيم وعد سعادة بالمال والسلاح وبدعمه بثلاثة آلاف جندي سوري يرتدون ثيابا قومية سورية، وبشاحنات تنقل المؤمن والذخائر والاعتدة".

في 16 حزيران 1949 وجه سعادة نداءه الى "القوميين الاجتماعيين والامة السورية"، هاجم فيه الحكومة اللبنانية التي اعتبرها بانها جرّت الشعب الى العار والدمار، داعيا اياها "ان تسلم اليه ربع كمية السلاح الذي تملكه برسم الجيش فقط، وان تبيح الحرية للضباط والجنود ان يختاروا محاربة الحزب القومي الاجتماعي، او عدم محاربتة، وان نختار يوما ومكانا لمعركة واحدة فاصلة بين قوة الحزب القومي الاجتماعي، وقوة الحكومة، وحلفائها الطائفيين...".

واضاف سعادة في نداءه: "اني اقدم الى الحكومة اللبنانية هذه الفرصة الوحيدة لاطهار قوتها وبطشها ومقدرتها على سحق الحزب القومي الاجتماعي...".

وختم: "... كان الاحتلال الفرنسي صاحب الفضل في ازاحة الستار عن نشوء الحركة السورية القومية الاجتماعية، وستكون الحكومة اللبنانية صاحبة الفضل في ازاحة الستار عن انتصار هذه الحركة الانتصار الكامل! اننا سنحفظ للحكومة اللبنانية هذا الفضل عند الحساب!!".

اعلان الثورة القومية الاولى

اعلن سعادة الثورة القومية الاولى في الثالث من تموز 1949 (على الطغيان والخيانة). ويشير الدكتور هشام شرابي الى "ان سعادة كان يعتمد على حسني الزعيم الذي وعد بتقديم الدعم المادي للثورة... وعلى الدنادشة في البقاع الذين اعلنوا استعدادهم للاشتراك في الثورة، وعلى الاردن الذي وعد بتقديم المعدات والسلاح والذخيرة، ولم يف احد بوعده...".

ويتابع شرابي: "... كان للثورة ان تنفجر في أن في مناطق مختلفة من لبنان، فتقوم جماعات صغيرة من القوميين بمهاجمة مخفر الدرك في بيروت والشوف والمتن، وتستولي على اكبر كمية من السلاح. وبعد ذلك تعلن الثورة في الهرمل، وتهاجم قوة عساف كرم، وهي قوة الثورة الرئيسية، راشيا ومشغرة، وتحتل البقاع الاوسط. كانت ساعة الصفر منتصف ليلة السبت 2 تموز. وفي الموعد المحدد هاجمت جماعة من القوميين مخفر الغبيري في ضواحي بيروت، وجماعة اخرى مخفر المتن في الجبل، وفي الحادثتين جرح بعض افراد الدرك واستولى القوميون الاجتماعيون على كمية ضخمة من السلاح. وفي الشوف

والهرمل لم يحدث شيء. اما قوة عساف كرم فدخلت الاراضي السورية - اللبنانية في باصين في موعدهما المحدد ورافقهما سعادة حتى الحدود السورية - اللبنانية، حيث القى كلمة في القوميين الاجتماعيين ثم عاد الى دمشق. وانقسمت القوة الى فريقين، اتجه الفريق الاول بقيادة عساف كرم نحو مشغرة، والفريق الثاني الى راشيا".

وتابع شرابي: "... لقد تبين بعد ذلك ان السلطات اللبنانية على علم بمخطط الحزب بحذافيره كلها. فما ان وصل القوميون الى مشغرة حتى وجدوا انفسهم محاصرين من جميع الجهات. لكن عساف كرم ابي الاستسلام واستمر في القتال حتى ظهر اليوم التالي الى ان قتل فاستسلم من تبقى على قيد الحياة من القوميين الاجتماعيين. اما الفريق الثاني فقد حوصر ايضا في راشيا وقتل منه عدد واستسلم العدد الآخر. ويوم الاثنين حوصرت الجماعة المقاتلة الاخيرة بقيادة جورج عبد المسيح في سرحمول ولم يدم القتال طويلا، فاستسلم عدد من المقاتلين وتمكن الباقون من الافلات ومن بينهم جورج عبد المسيح...".

بعد فشل الثورة حاول الزعيم انطون سعادة اللجوء الى الاردن، حيث طلب الى احد القوميين (صباحي فرحات) تحضير السيارة لمغادرة دمشق، وعندما وصلا الى منطقة الكسوة طلب سعادة فجأة من مرافقه العودة الى دمشق. وهناك قرر سعادة مقابلة الرئيس حسني الزعيم. ولكن ما ان دخل سعادة القصر الرئاسي حتى احاطه الجنود، فأيقن انه وقع في الفخ، وان حسني الزعيم غدر به، وخان الامانة.

وذكر الصحافي السوري نذير فنصة (عديل حسني الزعيم) في كتابه "أيام حسني الزعيم"، ان حسني الزعيم اكد له انه تعرض لضغوط من رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري، ومن رئيس الوزراء رياض الصلح لتسليم سعادة الى السلطات اللبنانية لمحاكمته، لا بل ان حسني الزعيم اكد لفنصة: "انهم يطلبون تدبير مقتل سعادة في دمشق، وانا لن افعل ذلك طبعاً، لذا سأسلمه". ويشير فنصة الى ان رياض الصلح كان نسيباً لمحسن البرازي (رئيس وزراء سوريا في عهد الزعيم)، لأن عقيلتيهما من اسرة الجابري السورية الكبيرة.

تسليم سعادة

القي القبض على انطون سعادة في 6 تموز، 1949 وارسلت السلطة اللبنانية الى سوريا لتسلم سعادة، قائد الدرك نور الدين الرفاعي، ومدير عام الامن العام الامير فريد شهاب الذي اشار بعد ذلك الى "أن اوامر صدرت من السلطة اللبنانية لقائد الدرك الذي كان يرافقه، بتصفية سعادة في الطريق بحجة انه حاول الفرار".

المحاكمة

وضع سعادة في اول الامر في سجن في ثكنة الفياضية، ثم نُقل الى سيار الدرك قرب اوتيل ديو، حيث اخضع لحراسة مشددة، وتقررت محاكمته بشكل سريع، حيث بدأت التحقيقات الاولية معه في فجر السابع من تموز، في الوقت الذي كان فيه عدد من المعتقلين القوميين يتعرضون للضغوط والتعذيب ليعترفوا بأن سعادة هو الذي سلحهم وحرضهم على الثورة. عند الظهر انتهى التحقيق الاولي مع الزعيم وصدر القرار الظني الذي طلب له عقوبة الاعدام، وانعقدت المحكمة العسكرية فوراً لتتظر في الدعوى المحالة عليها، وكانت محاكمة سرية رغم السماح لعدد من الصحفيين بحضورها.

تشكلت هيئة المحكمة من المقدم انور كرم رئيساً، النقيب طانيوس سمراني والنقيب عزيز الاحدب، والملازم اول احمد عرب اعضاء، والقاضي غبريال باسيلا مستشاراً والقاضي يوسف شربل ممثلاً للنيابة العامة العسكرية.

وطلب سعادة ان يتولى صديقه المحامي اميل لحود مهمة محامي الدفاع، واستدعي لحود الذي طلب امهاله مدة 48 ساعة لدرس الملف، لكن هيئة المحكمة وافقت على منحه 24 ساعة فقط على ان يبقى في المحكمة يتابع درس الملف والقضايا

المتعلقة به. لكن لحدود رفض هذا الامر، معتبرا ان ذلك لا يؤمن حق الدفاع عن المتهم كما ان دفاعه لا يقدم ولا يؤخر في حكم معدّ سلفا، وفي اطار محاكمة يبدو في وضوح انها محاكمة سورية. عندها عينت المحكمة الملازم اول الياس رزق الله محاميا للدفاع عن سعادة.

وحمل القرار الظني عدة اتهامات بحق سعادة ابرزها: عدم اعترافه بالكيان اللبناني، وسعيه الى قلب النظام عبر دعوته الى الثورة واعلانه العصيان المسلح، ومهاجمة المخافر، واقتناء السلاح، والتسبب بمقتل النقيب توفيق شمعون في سرحمول، والدركي نسيب النسر في مخفر حارة حريك.

وعرض المدعي العام القاضي يوسف شربل لوقائع الثورة القومية، وعلان العصيان، ومهاجمة المخافر، وحمل سعادة المسؤولية المباشرة، وعرض لتاريخ الحزب منذ تأسيسه، والمرات التي دخل فيها سعادة الى السجن، محاولا ان يلصق به تهمة الاتصال باليهود.

واستندت المحاكمة في اتهامها سعادة بعدم اعترافه بالكيان اللبناني الى مبادئ الحزب القومي المعروفة بـ"المحاضرات العشر"، وخصوصا الى المبدأ الخامس الذي يحدد فيه سعادة حدود الوطن السوري.

وفيما كان القاضي يوسف شربل ممثل النيابة العامة العسكرية يدلي بمطالعته التي ختمها ببيت من الشعر جاء فيه:

"ان الزراير لما قام قائمها

توهمت انها صارت شواهينا"

كان سعادة متماسكا ينظر اليه من وقت لآخر، ويدون ملاحظات على ورقة امامه.

عند الساعة السادسة بعد الظهر، وبعد استراحة لبضع دقائق، انعقدت هيئة المحكمة مجددا، وبدأ سعادة يدافع عن نفسه، فأكد انه ليس هناك من لبناني ان يدعي انه اكثر لبنانية منه، وانه لم يدع مرة في حياته الى اذابة الكيان اللبناني، لا بل يعتبر ان لبنان جزء من سوريا الطبيعية، وهناك عقبة اساسية تحول دون اقتناع اللبنانيين بهذه الحقيقة الا وهي الطائفية، لذلك فان غاية الحزب تحرير المواطن اللبناني من هذه الطائفية، وعندما يتم ذلك تصبح علاقة لبنان بسوريا طبيعية وخارج هذا الاستهجان او الاتهام.

اما في رده على الاتهامات بمحاولة الاتصال باليهود، فقد سخر سعادة منها مستشهدا بتاريخ حزبه منذ تأسيسه ووقوفه ضد الصهيونية، وقيام دولة اسرائيل.

وختم سعادة دفاعه عن نفسه ببيت من الشعر من قصيدة "المواكب" لـ"جبران" جاء فيه:

"وفي الشواهين جبن وهي طائفة

وفي البزاة شموخ وهي تحتضر".

عند العاشرة ليلا رفعت الجلسة للمذاكرة، لتنعقد مجددا بعد ساعة بحضور سعادة الذي كان مرهقا وبدت على وجهه علامات التعب والاعياء، واعلنت صدور الحكم الذي قضى باعدام سعادة.

ونقل سعادة مكبلا ووسط حراسة مشددة الى سجن الرمل، ولم تلبّ المحكمة رغبته برؤية زوجته وبناته، ولم يكن يعلم ان زوجته جوليت المير مع بناتها كن سجينات في سجن سيدنايا في سوريا.

دخل سعادة زنزانتة وخلع حذاءه ولفه بسترته وجعل منه مخدة اسند رأسه اليها وغفا بعمق في الوقت الذي كانت فيه السلطة اللبنانية تستكمل الاجراءات ليصبح الحكم مبرما لا مجال للعودة عنه. ورفضت لجنة العفو هذا الاسلوب في المحاكمة، ولم يوافق القضاة جورج سيوفي، اميل تيان، زهدي يكن، على قانونيتها، وابدوا احتجاجاتهم عليها. ومع كل ذلك وقع الرئيس بشار الخوري، ورئيس الحكومة رياض الصلح، ووزير الدفاع الوطني مجيد ارسلان مرسوم اعدام انطون سعادة.

## الاعدام

منتصف ليل الخميس - الجمعة 8 تموز، 1949 كان الزمان الذي تقرر فيه اعدام انطون سعادة رميا بالرصاص. ومنذ الساعة الواحدة فجرا بدا المسؤولون والقضاة والضباط الذين يتوجب عليهم حضور عملية الاعدام في الوصول الى باحة السجن، من بينهم اعضاء لجنة العفو التي ضمت القضاة: جورج سيوفي، احسان مخزومي، زهدي يكن، رجا تامر، وبدري المعوشي. كما حضر كل من القضاة: ميشال تلحمة (مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية)، رئيس قلم المحكمة ميشال بو شقرا، فؤاد بولس، القاضي غبريال باسيلا، محامي الدفاع عن سعادة الملازم الاول الياس رزق، والعقيد جميل لحد (قائد موقع بيروت)، العقيد محمد جواد (قائد فوج درك بيروت)، مختار محلة المزرعة، وعدد من الضباط. ودخل القاضي غبريال باسيلا ومعه الاب الياس بربري (كاهن رعية المصيطبة المكلفة بالصلاة والقيام بالمراسم الدينية قبل اعدام سعادة) الى غرفة سعادة في السجن وكان لم يزل نائما حيث تم ايقاظه باحداث ضجة متعمدة. وابلغ باسيلا سعادة ان رئيس الجمهورية رفض العفو عنه، وان حكم الاعدام سينفذ به فورا، فرد الزعيم انطون سعادة، بكل وقار ورباطة جأش: "شكرا". وتقدم الكاهن بربري للقيام بالممارسة الدينية فرحب به سعادة قائلا: "اهلا وسهلا يا محترم". ولما سأله بربري عن مذهبه قال سعادة: "ولدت ارثوذكسيا واموت ارثوذكسيا".

وقال الاب الياس بربري في حديث اجراه معه الاديب سعيد تقي الدين، ونشره تحت عنوان "حدثني الكاهن الذي عرفه": "سألته اذا كان يود ان يقوم بواجباته الدينية فأجاب لم لا؟ وطلبت اليه ان يعترف، فأجاب: "ليس لي من خطيئة ارجو العفو من اجلها، انا لم اسرق، لم ادجل، لم اشهد بالزور، لم اقتل، لم اخدع، لم اسبب تعاسة لاحد".

واكمل بربري: "... بعدما فرغت من المراسم الدينية، تركنا الغرفة فكلبوا يديه، وخرجنا الى مكتب السجن. وهناك طلب ان يرى زوجته وبناته، فقيل له ان ذلك غير ممكن، وقدموا له ترويقة فاعتذر شاكرا، لكنه قبل فنجانا من القهوة متناولايه بيمناه واسنده بيسراه، وكانت تسمع للقيد رنات كلما ارتطم بالفنجان. وكان الزعيم بيتسم صامتا هادئا مجيلا عينيه من وجه الى وجه كأنه يودعنا مهدئا من روعنا. هنا انفجرت انا بالبكاء، وبكى معي بعض الضباط، بل ان احدهم اجهش وانتحب".

وتابع: "سمعتة (اي الزعيم) يقول: "انا لا يهمني كيف اموت، بل من اجل ماذا اموت. لا اعد السنين التي عشتها، بل الاعمال التي نفذتها. هذه الليلة سيعدمونني، اما ابناء عقيدتي فسيبنتصرون... كلنا نموت، ولكن قليلين منا من يظفرون بشرف الموت من اجل عقيدة. يا خجل هذه الليلة من التاريخ، من احفادنا، من مغتربينا، ومن الاجانب، يبدو ان الاستقلال الذي سقيناه بدمائنا يوم غرسناه، يستسقي عروقنا من جديد".

واضاف بربري: "... ومشينا الى حيث انتظرتنا السيارات، والزعيم ماش بخطى هادئة قوية بيتسم، اي انه لم يفعل، كان الاعدام شيء نفذ به مرات عدة من قبل... وحين خرجت الى الباحة رأيت الى يميني تابوتا من خشب - من خشب الشوح لم يخف الليل بياضه - وتطلع الزعيم الى نعشه فلم تتغير ملامحه ولا ابتسامته. وسارت "الجيب" بالزعيم يحف به الضباط وخلفه

تابوته... حتى انحرفنا عن الطريق العامة الى درب ضيقة بين كئيبان، ووقفنا في فجوة بين الرمال كأنها فوهة العدم. وقفز من بينهم مكبلا الى عمود الموت المنتظر، فاقتربوا منه ليعصبوا عينيه، فسألهم ان يبقوه طليق النظر، فقبل له: القانون. اجاب: انني احترم القانون. واركعوه، وشدوا وثاقه الى العمود، وكان الحصى ألمته تحت ركبتيه، فسألهم ان كان من الممكن ازالة الحصى، فأزالوها، فقال لهم: شكرا، شكرا ردها مرتين، وقطع ثالثتهما الرصاص، فإذا بالزعيم وقد تدلى رأسه وتطايرت رثته اليمنى، وتناثرت ذراعه اليسرى... وكوموا الجثة في التابوت، وتسارعت القافلة نحو المقبرة، وهناك كادوا يدفنوها من غير صلاة لو لم يتعال صياحي، اخيرا قالوا لي: "صلّ، انما أسرع، صلّ من قريبو".

وادخل النعش الى كنيسة مار الياس بطينا ووضع امام المذبح فصلى عليه الاب بربري، بمعاونة الاب عبد الكريم كاهن الكنيسة، بشكل سريع، فيما كانت قطرات الدم تسيل من تشققاته ثم انزل النعش الى الحفرة واهيل عليه التراب.

### إستجواب جن بلاط وافتتاحية تويني

احدثت عملية اعدام انطون سعادة في الثامن من تموز 1949 ردود فعل سياسية محلية وعربية، وكان ابرزها الاستجواب الذي قدمه الراحل كمال جن بلاط الى الحكومة اللبنانية عن استشهاد سعادة، والمنشور في جريدة "النهار" بتاريخ 9 ايلول 1949، وافتتاحية غسان تويني في جريدة "النهار" في 7/9/1949 بعنوان: "سعادة المجرم الشهيد"، وحوكم تويني بسبب هذا المقال، في المحكمة العسكرية التي قضت بحبسه ثلاثة اشهر بتهمة تحقير الجيش والمس بكرامته.

& وبرز ما جاء في استجواب كمال جن بلاط الى الحكومة اللبنانية: "هذا الجو من التضيق على الحريات هو من الاسباب الحقيقية التي دفعت بسعادة الى الثأر لكرامته وكرامة حزبه...". وتابع: "ويذكر بيان الحكومة انه "في ساعة مبكرة من صباح يوم الخميس الواقع فيه 7 تموز 1949 قبضت قوى الامن اللبناني على انطون سعادة وسلمته الى المحكمة العسكرية، والواقع هو غير ذلك تماما كما يعرف الفاصي والداني وكما بلغنا فان قوى الامن السوري هي التي قبضت عليه اثر خديعة لا تشرف الذين قاموا بها، ولم تتسلم الحكومة اللبنانية المتهم الفار الا بعدما قبلت بشروط اقتصادية وامتيازات تتنازل عنها لمصلحة الحكومة السورية... وقد قبض في ما بعد السيد محسن البرازي (رئيس الحكومة السورية) في دمشق من يد دولته (الرئيس رياض الصلح)، العشرين الف ليرة ثمنا لدم المهروق. وقد غسل رجال سوريا المخلصون وصمة العار التي لحقت بحكومتهم السورية ومساومتها وخرقها القانون الدولي المعروف وتنكرها لتقاليد الشهامة والضيافة العربية الاصيلية... رحم الله من قال (اي انطون سعادة): "ان الشعوب الغيبية تفعل برجالها ما تفعله الاطفال بالعابها، تحطمهم ثم تيكي طالبة غيرها".

& وجاء في مقالة غسان تويني: "وفق المسؤولين في اعتقال انطون سعادة والتحقيق مع انطون سعادة ومحاكمة انطون سعادة والحكم على انطون سعادة بالموت والتصديق على الحكم ثم اعدام انطون سعادة بسرعة ذهل لها الناس... وكاد الناس لا يعرفون ما اذا كان انطون سعادة قد اعدم ام قتل، واذا كان الذي جرى محاكمة ام مؤامرة! لقد حوكم انطون سعادة بتهمة اثاره الفتنة والشغب والاعتداء على القوات العامة، والقيام بأعمال التخريب والقتل، وهي تهمة تصح ان توجه الى رئيس عصابة... ولكن انطون سعادة لم يثر الفتنة لمجرد الفتنة، ولم يقم بأعمال الشغب لمجرد المشاغبة، بل انه لم يثر ويعتدي لمجرد الثورة والاعتداء والقتل... ان انطون سعادة رجل عقيدة وصاحب رسالة، انه زعيم حزب سياسي منظم... ولكن المحاكمة اغفلت ذلك كله.

ولئن كانت الحكومة قد شاءت التخلص من الرجل بأسرع وقت، فإنها جعلت انطون سعادة شهيدا لا في نظر اعضاء حزبه فحسب، بل في نظر الكثيرين ممن كانوا لا يتمنون له غير تلك النهاية...". ("النهار" 7/9/1949).

## العنوان: بين سعادة وتويني

الكاتب: شريح محمود

بين 21 شباط 1946 و13 كانون الاول 1946 طير انطون سعادة الى غسان تويني عشر رسائل تشكل مجتمعة وثيقة اساسية في ملف الحزب السوري القومي الاجتماعي، كان سعادة يقترب من الثانية والاربعين وكان تويني يقترب من العشرين. كان سعادة في عامه الثامن في المغرب القسري في الاربعين، وكان تويني في عامه الاول في جامعة هارفرد في كامبردج في ولاية ماساشوستس، ناحية حاضرة بوسطن. كان سعادة يعد العدة للعودة الى بيروت ويتحضر لأمرين جليلين: نفض الحزب والانقلاب على الدولة. وكان تويني يكمل دراساته العليا في السياسة وهمه قضية فلسطين ويستعد لكتابة اطروحة في ميتافيزيك الاخلاق عند مفجر الحداثة ايمانويل كانط. كان سعادة انتهى من صوغ عقيدة علمانية لا تساووم ولا تهادن متى تعلق الامر بمصير سوريا الطبيعية واهلها، ولا سيما فلسطين. وكان تويني الوافد الى الحزب القومي في صباه خريج الفلسفة في اميركية بيروت من المدافعين عن حرية الفكر مهما تكن النتيجة. وكان الصراع آنذاك على اشده بين سعادة من ناحية وبين عضوين تاريخيين في الحزب، فخري المعلوف وفايز صايغ. المعلوف في بوسطن منصرفا الى الفكر واللاهوت وصايغ في بيروت يحاضر في الفلسفة في اميركية بيروت ويدير عمدة الثقافة والفنون الجميلة في الحزب. كان الخصام بين سعادة والمعلوف وقع ويكاد بين سعادة وصايغ. كان المعلوف مال الى الكتلكة وكان صايغ يجنح الى حرية الفكر. كان الحزب في غياب سعادة يشهد صراعا داخليا خفيا.

رسائل سعادة العشر الى تويني تفصيل وتوجيه. تفصيل في جبه سعادة لانحياز المعلوف الى الدين وتمرد صايغ على القيادة، وتوجيه لأن الرسائل ترسم لتويني خطة نهوضه بمنفذية اميركانية متى أقيّل المعلوف. الرسائل اذن تندرج تحت خانة شروح في العقيدة، ولعلها اعنف هجوم شنه سعادة على معارضيه وهو في المهجر، فما ان عاد سعادة الى بيروت والقى المحاضرات العشر على مطلق من اميركية بيروت حتى كثف هجومه عليهم فأقصاهم عن الحزب واقالهم عن مراتبهم ونصب عينيه ما وفد من اجله: الانقلاب على الخصوصيات ودك معقل الطائفية، لكن تصدى له نظامان بدعم اجنبي مما عجل في محاكمته سراً والقضاء عليه والفتك بحزبه والبطش باتباعه، فانهارت العلمانية في المشرق باخراج داعيتها الاكبر من هذه الدنيا، فهي اصلا لم تُسو له. انتبه سعادة منذ البدء الى موقع تويني في "نظام حركتنا" [رسالة الى تويني 21 - 2 - 1946]، وكان أعلم ابراهيم حبيب طنوس [في 27 - 2 - 1946] بأن "الامين فخري المعلوف أصيب مؤخرا بهوس المذهب الديني [الجاتليكي]" وبأن "الرفيق غسان تويني الذي شغل مؤخرا وظيفة وكيل عميد الاذاعة في المركز وهو من القوميين الاجتماعيين النابيين". صلة سعادة بتويني وثيقة عقيدة ومنذ غياب الزعيم ودخول تويني السجن بفارق 24 ساعة لم يعلن تويني عن تفاصيل خروجه من الحزب وعودته اليه، لكن امس، في قاعة عصام فارس في اميركية بيروت، وبدعوة "من مؤسسة سعادة للثقافة" ولمناسبة مئوية الزعيم، تحدث تويني عن سعادة قضية وتغييراً وابعاداً.

## العنوان: حزب سعادة ليس حزب سلطة

الكاتب: ياسين ماهر

مع تباشير الربيع في الأول من آذار عام 1904 اهدتنا السماء أنطون سعادة فيلسوفاً ومصلاً اجتماعياً وباحثاً تاريخياً

وزعيماً سياسياً ليهدي ابناء أمته السورية الى جادة الحق بعدما ضلوا الطريق في عتمة قرون التجهيل والاحتلال الطويلة.

اعاد سعادة اكتشاف حقيقة الأمة السورية، وقال لنا انه من حق كل انسان يعيش على أرض سوريا التاريخية، أياً يكن عرقه أو دينه أن ينتمي الى الوطن السوري ويتمتع بكامل الحقوق والواجبات، معيداً دمج أبناء الوطن الواحد بوطنهم وأمتهم وخاصة أبناء الأقليات الدينية والقومية الذين عانوا الغربية في الوطن.

واجهنا سعادة بصورتنا البشعة وبأمراضنا الاجتماعية وعلماً أن نخرج من شرقة الانتماء الى العرق والدين والطائفة الى فضاء الانتماء للوطن السوري الواسع. كما علمنا أيضاً ان ننقل من الاحساس بفرديتنا الى الاحساس بمجتمعنا وأمتنا ونغلب مصلحة الوطن على المصلحة الشخصية.

وعلمنا الكثير والكثير مما لو نقدنا بعضه لما كنا وصلنا الى ما وصلنا اليه من ضعف ودلّ وانكسار.

لا أنوي هنا استغلال ذكرى مرور مئة عام على ولادة الزعيم أنطوان سعادة لتمجيده ومدحه بعبارات طنانة رثانة نضيفها الى المرثيات التي نقتل بها عظماءنا وندفنهم مرات تلو المرات مع توالي ذكرى ولادتهم وفاتهم. فتكريم سعادة الحقيقي لا يكون بكتابة المقالات التي تنكيه ولا بالمشي على الأقدام مئات الكيلومترات للنواح عند عززله، كفانا استعراض وكفانا اضاعة للوقت والجهد بطقوس فارغة المضمون والمحتوى، ولنفكر معاً كيف نحبي سعادة بإحياء فكره وتعاليمه ويتمثيل تجربته ونضاله وتفانيه في حب أمته وتضحيتيه من أجلها، فلا نكون من الأمم التي تعامل عظماءها كما يعامل الأطفال ألعابهم، ويرمونها ثم يبكون عليها، كما قال الزعيم ذات مرة.

قتلنا سعادة مرتين. مرة عندما اخترقت الرصاصات جسده الأزل، ومرة حين سجننا روحه وفكره في إطار حزبي ضيق. فهناك من قال ان انطون سعادة هو ملك الحزب السوري القومي الاجتماعي وحده وهناك من سجنه في نصوص وعبارات وتعاليم حزبية أشبه بالتابوهات لا يجوز الاقتراب منها او مسها وتأبى التطور والحراك في ظل عالم يتغير ويتطور باستمرار.

ومع حبي الكبير واحترامي الشديد لنضال الحزب السوري القومي الاجتماعي وتضحياته وعشقي للزعيم سعادة أرفض ديكتاتورية النص في الحزب، وأرفض قمع الفكر والحوار داخله. فكل شيء يجوز فيه الحوار والنقاش، وأرفض التخوين والعقوبات القاسية حيال كل من لا يتفق بالرأي مع رأي قيادة الحزب، فلا أحد يمتلك حق طرد أي عضو آمن بفكرة سعادة وبحقيقة الأمة السورية ونهضتها الا سعادة نفسه. فالحزب يجب أن يكون ساحة حوار ونقاش تستوعب كل فكر جديد ورأي جديد يساهم في ابقاء الحزب جسداً حياً لا مومياء للعرض في المتاحف.

ان الحزب السوري القومي الاجتماعي ليس حزب سلطة، وليس هدفه الوصول اليها بأي وسيلة وأي طريقة. فواجب الحزب هو نشر فكر سعادة بين جمع ابناء الأمة السورية والعمل على بعث نهضة هذه الأمة من خلال العمل بين جماهيرها ورفع وعيها الاجتماعي والقومي ومداواة امراضها الاجتماعية. فللواهمين السعيدين بالمقاعد الوزارية والنيابية في لبنان والشام أقول لهم ان هذا لا يعكس حقيقة تمثيلكم وحقيقة وجودكم في ضمير أبناء الأمة ووجدانها، بل على النقيض. فالتحالف مع زعماء الطوائف والتحول مهرجان جدداً في قوائم المهرجين اساء الى الحزب، بل صدمنا كثيراً ممن كانوا يكونوا الاحترام للحزب حتى لو كانوا ممن لا يؤمنون بفكره. كانوا يحترمون نضاله ونقاؤه وتعففه عن التلوث بقذارة العمل السياسي الساعي للوصول الى السلطة بأي طريقة وتلقف أي منصب أو موقع يعرض عليهم.

وتكريم سعادة في مثوبته يكون بالعمل على تحويل سعادة من مؤسس للحزب السوري القومي الاجتماعي فحسب الى فيلسوف ومفكر للأمة السورية بأكملها من خلال العمل على نشر فكره وتعاليمه بطريقة جديدة تتجنب إثارة الحساسيات والتشنج لدى المتلقي، ومن خلال الانفتاح على الآخرين أياً تكن المسافة التي تفصلهم عن الحزب، والتعامل مع السوريين كافة من منطلق

المحبة مهما كان عداؤهم كبيراً لفكر سعادة ولحقيقة الأمة السورية. فحزب سعادة ليس كغيره من الاحزاب، بل هو كالألم التي تحب جميع ابنائها مهما كانت اساءاتهم أو عقوقهم ساعية الى هدايتهم حتى آخر رمق.

ومن واجب الحزب تجاه نفسه ان يتوقف لحظة مع ذاته ويفكر في كيف يطوّر خطابه السياسي ليجذب الجيل الجديد الذي يختلف كثيراً عن جيل الاربعينات والخمسينات، وأن يدرس سبب انفضاض الناس من حوله، بدل خداع نفسه بأرقام وهمية عن حقيقة جماهيريته هنا او هناك، وان يسعى ليكون له حضور حقيقي في الأردن والعراق وحتى فلسطين. فالأمة السورية ليست لبنان والشام فحسب. ولا يقول لي أحد ان للحزب تمثيلاً ومؤيدين هناك، فهذا خداع للنفس والغير. والأهم من هذا التراجع عن التكتيكات والحركات السياسية التي ارتكبت أخيراً للوصول الى البرلمان بمناورات وألعيب تسيء الى الحزب وتجربته النضالية. فمرشح الحزب السوري القومي الاجتماعي يجب أن يكون مرشح الحزب السوري القومي الاجتماعي فحسب لا غير، وعندما ينجح يجب أن ينجح بأصوات مؤيديه وحدهم وليس بنتيجة توجيهات وعتاءات وصدقات من الآخرين

التاريخ: 19-03-2004 رقم العدد: 21904 الصفحة: 9 العمود: 5

## العنوان: لا نزال نملك رهان سعادة

الكاتب: بختي سليمان

ليست مناسبة مئوية ولادة انطون سعادة (1904 - 2004) ذكرى لأن نستعيد ونتحسر ونتألم، ولكن ان نتمثل ونعتبر ونستشرف. وربما ان نسأل السؤال الاساسي: كيف نضع فكر انطون سعادة في ابعاده في اطار الحاضر والمستقبل؟

وكيف نتمثل هذا الفكر في اطار النهضة والاصلاح والحداثة؟ وكيف نعيد اكتشاف سعادة كمفكر نهضوي وصاحب رؤية توفر طريقاً للباحثين عن فكر يرد التحديات عن هذه الامة وينشلها من عثراتها وينير لها الدرب والافق؟ وكيف نرد الاعتبار للظلم الذي وقع على رمز المشروع القومي وحامل لواءه والذي دفع حياته ثمناً لموقفه وايمانه.

منذ مقالاته الاولى وبدايات تحركه لتحقيق النهضة القومية لفت سعادة كثراً، فقد كانت كلماته وفعاله تحمل الاصاله والثقافة ووعي الذات والروح العلمية وشمولية الفكر، وتدخّل هذه العناصر في صلب مشروعه الفكري النهضوي التغييري. دخل سعادة السياسة من الفكر مثلما دخل افلاطون الجمهورية ووطد في نفسه الثقافة والسياسة، الانسان والمجتمع، التاريخ والمستقبل. جاء من الفكر رائياً ان "العقل هو الشرع الاعلى" ومن يضع العقل في الشرع فكأنه يضع الانسان على قمة الوجود، على قول فويرباخ.

أمن سعادة بأن الحياة صراع، والصراع مستمر لا ينتهي، والفكر هو امكان، والسياسة هي وسيلة لتحقيق الامكان، لاجتراح التغيير. وجدد السؤال القديم في رؤية جديدة وصيغة معاصرة، وهو: كيف تصبح الاخلاق هي السياسة فلا تسقط الاخلاق ولا تفسد السياسة ولا يضيع الهدف ولا تنحدر الوسيلة؟

ومن يشدد على العقل والاخلاق فإنما هدفه بناء الانسان الجديد وتجديد الهوية القومية وفق اسس علمية ليصل الى دولة منصهرة في الامة ومشتبكة مع قضيتها. لذلك حارب الطائفية ليجرر الانسان من ولاءات تعطل العقل وتدمر الجسور وتعوق النهوض.

حارب العدو الاسرائيلي ومشروع الوطن القومي اليهودي لأنه نقيض مشروعه الحضاري الوجودي القومي، ونقيض للقوة التي رآها في الامة وارادها. رأى في ثروة الامة، وخصوصا النفط، ملكية حضارية للأمة ليس سلاحا "انترناسيوني". وفي هذا المنحى كان يقرأ الواقع بعين ثابتة واضحة تصلح لكل يوم. والاعرب من كل ذلك اننا ما زلنا منذ خمسين سنة واكثر اسرى القيد الطائفي، ورهائن المشكلة الاسرائيلية، وضحايا لعنة النفط. حاول جاهدا وسعى لاسقاط سايكس - بيكو فنفاه المستعمر الاجنبي واعدمه الاستقلال، لأن سايكس - بيكو يقوم على الكيانات المصطنعة والحدود الوهمية الخاضعة لضمان امن اسرائيل والسيطرة على النفط والاسواق.

واليوم، ماذا تقول الوقائع؟ الاستعمار الاجنبي يعود بعده الى المنطقة، والاصوليات الدينية والاثنية تفري فيها في مجتمعاتنا، والمرجعية القومية في انحسار وتراجع، واسرائيل تستعد لتكون الاصولية المهيمنة والاقوى في المنطقة.

وماذا نملك لتغير هذه الوقائع ونستعيد هويتنا وحرمتنا وكرامتنا؟ لا نزال نملك ما رهن عليه سعادته غير مرة وهو الوعي الاجتماعي الذي يؤهلنا لنقاوم ونغير ونجتري، وخصوصا متى كانت قضيتنا تساوي وجودنا.

التاريخ: 08-03-2004 رقم العدد: 21893 الصفحة: 9 العمود: 1

## العنوان: في مئوية سعادة خطاب عقول... أم ضراب سيوف؟

الكاتب: رزق آدمون

من اكثر الكلمات انطباعا في بالي، قول لادغار فور (1)، في خطبة افتتاح المؤتمر التأسيسي لمنظمة الفرنكوفونية الدولية قبل خمس وثلاثين سنة، بقصر الملك الشمس (2)، وكنت في عداد الوفد البرلماني اللبناني، قال: "المعلم تلميذ دائم، والتلميذ معلم نفسه".

ثم كانت كلمة الختام، في اليوم الثالث، لاندرية مالرو (3)، استذكرا خاطفا لتاريخ البشرية، منعطفات وتحولات وابداعا، وقد رعى الجنرال ديغول الحفل الاخير في "التريانون الكبير" الذي يحمل هذا المكان اسمه.

بدأت بهذه المقدمة، وانا على منبر الحزب السوري القومي الاجتماعي، للمرة الرابعة، في كلام على الزعيم المؤسس، بدعوة من رفيق "الحكمة" الرئيس الدكتور انطوان ابي حيدر.

لقد كانت اولى وقفاتي في "ندوة آذار الفكرية"، قبل اربع عشرة سنة، بدعوة من رفاق لكم في موقع آخر. ثم تواليت معكم ثلاثا، على احتفالات الوفاء بالرجل العظيم نفسه، من ضهور الشوير، الى السمرلاند، وها انا على الموعد، في بدء احتفالاتكم بالمئوية الاولى لولادته.

ايها الاصدقاء، لقد تعلمت ان اعطي الاولوية للبحث عما يجمع، بدلا من التوقف عند ما يفرق، فاكشف ما يتألف، واتفهم ما يختلف. هكذا وجدت ان من نخالهم متباعدين عنا، قد يكونون اقرب الناس منا. وادركت ان لدى كل انسان القدرة على الغلبة بخطاب العقل، لا بضراب السيوف، ولا بقصف الصواريخ! بالفكر لا هزيمة لأحد، وانما الربح للمهتدين.

في عناوين الرسالة التي حملها انطون سعادته، ما يصلح منطلقا لمصالحة مع النفس ومع الاخر. وابدأ بقوله: "الحياة وقفة عز".

ثلاث كلمات تتوج اداب السلوك، فلا مساومة على قضية، ولا تزلف لسلطان، بل عنفوان وكرامة!

ان تحيا، وتجعل غيرك يحيا، فلا تقتل، ولا تغتال، لا تعتدي ولا تحنل، ولا تلطخ يديك بدم بريء!

ان تقف، اذاً لا خنوع. العز هو الظفر، واروعه على الظلم. انه الانتصار، وذروته على النفس. هو المجد، واكليه الفداء.

وقفة عز، فلا تسكع، ولا خفض هامات. لا التماس رضى، لا استعطاء مراكز، ولا استجداء القاب، كلها هباء.

من سعادته، انتقي شغفه "بالحق والخير والجمال"، ثالث قيم يختصر الحضارة في خطى بولس، من دمشق الى روما، ويستعيد اشعاع ائينا، ربة الحكمة. "الحق الحق اقول لكم... اعرفوا الحق، والحق يحرركم... الحقيقة ان تقال"... اعلم وعلم، تبلغت فبلغ. لا تكتم الحق. لا تكن نعشه، حجر ناووس، او خشب تابوت.

ايها الاخوة، كان سعادته داعية "نهضة" في مواجهة ذهنية رجعية آسنة.

بئس التخلف، في زي اصولية مزعومة، ولا اصالة!

بئس التطفيف، تلويث ايمان، حظر عفو، وبالدين ازراء!

ونعم علمنة تحترم الاديان، تؤمن بالانسان بارا تقياء، وشهما مناقيبا.

احفظ نداءه "يا ابناء الحياة"، رافعا شأن المخاطب. فما حرية من غير احرار. ولا رفقة من دون تكافؤ. لا قضية في ارتهان مصلحة، ولا مقام بغير احترام.

اذا انتسبنا، فلنستحقن النسب، او انتمينا، فلا نزيفن الانتماء، او حيينا فبخفة قلب، لا برفع يد او تمتمة شفاه، فقط!

ايها الاعزاء، لقد اتينكم، وفي امنياتى ان نرسي معا مصالحة تاريخية، بالتبني الواضح للموقف الوطني الذي اعلنه قبل خمس وخمسين سنة، في الرابع من تموز، 1949 وقد نوهت به في الذكرى الخمسين لشهادته، معددا معه، اولويات التزامه، واخصها: "توطيد استقلال لبنان"، رافضا اي تبعية او ارتهان، وفاء بالوطن الذي منه انطلقت دعوته، وفيه نمت، وليس لها غيره موئلا. وهنا اقول، بل اجزم، ان الزعيم انطون سعادته، كان شهيد استقلال لبنان. وازعم ان سبب اغتياله اعداما، هو فكره لا حركته! انه البرنامج الذي تضمنه بلاغه، لا المحاولة التي قام بها. واعتقادي الراسخ انه ما كان ليسلم غدرا، ويعدم بهتاناً، لو لم يؤكد ايمانه باستقلال لبنان، بابا الزاميا لنهوض الامة التي احبها. واشعر بأن سعادته قد اعتبر النموذج، او الرسالة، شرطا واجب الوجود لصحة شعوب الهلال الخصيب وتحرير قواها الفاعلة، لتغيير ما بها.

"المحافظة على الامن"، اي منع الجريمة، وضمان سلامة الاشخاص والجماعات، وحماية الممتلكات العامة والخاصة.

"صون الحريات وحماية الحقوق"، يعني التزام الاعلان العالمي لحقوق الانسان، واسقاط اي نظام بوليسي، قمعي، يمارس الاعتقال، والابعاد، والتعذيب في الاقضية، او الحشر في المعسكرات، يمحو اسماء الناس ويحولهم ارقاما.

"الانصياع لارادة الشعب"، ويكون باجراء انتخابات حرة منزهة، على اساس قانون ديموقراطي، يضمن التمثيل الصحيح في

السلطة، لمختلف فئات الشعب واجياله.

فلا شرعية خارج الديموقراطية، وكل استيلاء على السلطة بالقوة والعنف، هو انقلاب، واغتصاب، وتحل مقاومته بالثورة. وان الثورة على المغتصب، لاعادة الشرعية، هي الشرعية، حقا مطلقا وواجبا مقدسا.

"الغاء الطائفية، وازالة الحواجز بين الطوائف والمذاهب، في الاجتماع والثقافة"، برفض المحاصصة الطائفية، وتصنيف الطوائف، واختزلها بمنتهجين، لا يلتزمون اي دين، مستغلين سجلات النفوس لاقتناص المغانم، وسلب الحقوق. على لبنان المتعدد الثقافة، اديانا وطوائف واثنيات، العربي اللسان، المنفتح على اللغات الحية، مواكب العصر علما ورقيا، ان يوظف كنوزه الحضارية في صوغ هويته الواحدة، ليرتفع الى مستوى الوطن الرسالة.

لقد حث سعادة على "تصفية الاقطاع"، اي انهاء رق الارض، ونخاسة المال، وصنمية المعتقد، وعشوائية الحزب، وتبعية السياسة، وعبادة الشخصية.

كما دعا الى "تطهير الادارة من الرشوة والفساد والتحكم" بفرض الشفافية، وتعميم المساءلة، واحكام المراقبة، والتنشئة الخلقية، ونهج الخدمة العامة المجردة... بوضع حد للتهب المبرمج، والفساد المستشري، والجريمة المنظمة.

وتبنى اسلوب "التخطيط الاقتصادي"، الهادف الى استشراف الآتي، بدل الارتجال. فيا تعس دولة تتولى شؤونها امزجة الحكام، وتحدد مصالحهم مشاريعها، ويقف المستقبل عند حدود سلالاتهم!

شدد سعادة على "انصاف العمال ومنع الاحتكار"، متبنيا نهج العدالة الاجتماعية، باستجابة مطالب النقابات والاتحادات العمالية، والطبقات الكادحة، مع تأمين فرص العمل، والعيش الكريم، وضمان المرض، والبطالة، والشيوخوخة.

ان الرغيف، والمنزل، والمدرسة، والمستشفى، هي حقوق مطلقة لكل مواطن. فيجب وضع سياسات اسكانية، تربية، صحية، معيشية، توازن الانتاج بالاستهلاك، تحد من الاحتكارات والانتهاكات، التي ادت الى اغناء المتسلطين والازلام، وافقار البلاد والعباد، من دون وازع او رادع.

وطالب سعادة "بالغاء جميع الاحكام التي تعطل الحقوق المدنية والسياسية..." من مثل قوانين الطوارئ، والمحاكم العسكرية، ولا فاعلية لاي نص، اذا لم تضمن اولا استقلالية السلطة القضائية.

اصدقكم ايها الاخوة، اني اعجب، بل استغرب، كيف ان بلاغ الرابع من تموز لا يظهر، ولا يتم التركيز عليه، او الاشارة اليه، على انه برنامج حكم، وعهد شرف، وميثاق حياة، وفي ظني انه يصلح مشروعا مشتركا لاعادة توحيد حزبكم.. ولعلي بهذا الظن اعبر عن اميتي بتوحيد الاحزاب المبددة الشمل، على اساس قواسم الفكر، بعد ان فككتها صراعات المصالح والمناصب، وتضارب الولاءات!

ايها الاصدقاء، بعد مئة سنة من ولادة رجل الفكر والعصامية، الرؤيوي النهضوي، وددت ان يساعد لقائنا، على اخراج خطاب واضح، يسهم في احداث تغيير حقيقي للوضع الراهن البالغ السوء; كما يصح ان يكون جامعا مشتركا لكل اللبنانيين، المنتمين الى احزاب، او تنظيمات، او حركات، على اختلاف تفرعاتها، من كان على نهج سعادة، او غيره، هنا وهناك، لكي تكون الاحتفالات احياء فعليا للقيم التي جسدها الزعيم، ورعيل الرواد الصادقين، من اي فئة او موقع.

ان تجربتي الطويلة، على دروب العمل الوطني، علمتني ان متخصصي الامس، يمكن ان يتعاونوا على الانقاذ، مع بيانات

وبرامج اخرى، ما انفك الافرقاء المتعددون يطلعونها منذ عشرات السنين، وكلها ترفع الشعارات ذاتها، وتنادي بالمبادئ الاساسية نفسها، ومن المنطق ان يؤلفوا فريقاً واحداً، ويقوموا بعمل مشترك، بدلا من المزايدة والمهاترة.

ادعو نفسي، وسائر المعنيين، الى التحرر من رواسب الماضي، الخلافي والانقسامي، لبناء المستقبل، في لبنان اولاً، واقامة العلاقة الطبيعية مع سوريا، وسائر الدول العربية.

ولكم اتمنى ان ارى، في عداد الطامحين الى رئاسة الجمهورية، ولو مرشحا جادا واحداً، بدلا من السعي لدى المراكز الخارجية، يواجه الشعب بوقفة عزّ، فيستحق حمل امانة لبنان!

عاش لبنان واحداً للكل، واولاً قبل الجميع"

القيت في احتفال الحزب السوري القومي الاجتماعي، قيادة الدكتور ابي حيدر، في انطلياس، "شاتو تريانون"، الاحد الماضي 29 شباط.

1- رجل الدولة، رئيس الحكومة، وزير العدل، "حارس الاختتام"، وعضو الاكاديمية الفرنسية.

2- فرساي - 1968.

3- رجل الدولة، وزير الثقافة، وعضو الاكاديمية الفرنسية.

التاريخ: 04-03-2004 رقم العدد: 21889 الصفحة: 9 العمود: 1

## العنوان: قم من القبر، وانظر

الكاتب: سالم فيليب

السلام على روحك ايها الرجل المسجّي، والصامت في الارض، منذ اكثر من نصف قرن. هل تسمح لي بأن أزورك في عيد مولدك؟ انني اشتقت الى الرجال من امثالك. ولربما تتساءل لماذا يأتي واحد مثلي ليزورك ولم يكن يوماً من انصارك ولا من الذين آمنوا او عملوا في الحركة القومية السورية الاجتماعية. جئت لاقول لك، انه رغم اختلافنا في العقيدة السياسية، انت على حق في العقيدة الاجتماعية، وهي الهم. جئت لاقول لك ايضاً كم احترمك، ليس لانك اتيت بفكر جديد، بل لانك التزمت الفكر الذي اتيت به حتى الموت.

بعد مماتك ايها الرجل لم يأت رجل فكر في ارضنا حاضر للموت في سبيل فكره. اقول لك هذا الكلام الكبير، وانا على اختلاف عميق معك في الرؤية السياسي. فأنت تؤمن بقومية سورية اجتماعية، وانا اؤمن بقومية لبنانية عربية. انت تؤمن بأن لبنان يجب ان يذوب في محيطه، في سوريا الطبيعية، وانا اؤمن بلبنان سيد حر مستقل عربي. انت تؤمن بأن لبنان "كيان" غير مكتمل في ذاته، يجب ان ينصهر في كيانات اخرى ليصبح امة، وانا اؤمن بأن لبنان كيان مكتمل، "وطن نهائي لجميع ابناؤه"، امة واحدة كاملة، تؤلف مع الامم العربية الاخرى، العالم العربي، واياك ان تسوء فهمي، فأنا مثلك، ضد "المتلبننين المنادين بعزل اللبانيين اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وبانفصالهم التام عن المجتمع السوري والحياة السورية القومية". بل اذهب ابعد من ذلك لاقول ان لبنان ليس بلداً "ذا وجه عربي"، بل انه بلد عربي في كليته. وهو ليس ضد العروبة، بل قائدها. انه

الوطن العربي الوحيد القادر على انتشال العرب من قعر الهاوية الى القمة، من الماضي الى المستقبل، من السلفية الى الحداثة، من المستنقع الذي هم فيه، الى العالم الواسع.

المعذرة منك ايها الرجل، فأنا لست هنا في صدد جلاء الاختلاف معك في فكرك السياسي، بقدر ما انا هنا في صدد احياء ذكرى فكرك الاجتماعي وتقديم التزامك وفكرك كنموذج للعمل السياسي، وطرح قضية التزام الفكر والكلمة قضية اساسية في المجتمع العربي الحديث. وكنت قد حددت نقاط الاختلاف معك لانني اردت ان يعرف الناس انني لست "شاهداً من اهلك". كنت انت تقول بما تؤمن، وكنت تعني ما تقول. اما اليوم، ونحن في هذا الحضيض الحضاري والسياسي، فقد افرغ السياسيون العرب السياسة من الفكر، وافرغ المتكلمون العرب الكلمة من محتواها. فأصبحت كلمة القومية تعني الاستبداد، وكلمة الحرية تعني الطاعة، وكلمة الوطنية تعني الولاء لغير الوطن.

وفي عصر الذل هذا، كم نشأتك اليك، وكم نتذكرك! ها قد جئت ازورك لاشم رائحة العز من جديد. من زمان لم نشم رائحة العز. لقد هاجر العز من بلادنا، واعتصب الارض رجال صغار. كأنك كنت تعرف ما هو قادم، فحذرت وبلغت، الا انهم لم يتبلغوا. لقد بلغت "بأن أعظم مغزى وأسمى معنى للحياة القومية الاجتماعية هو العز، وان أردل وأحقر معنى هو الذل الذي يزيد السيطرة واذلال الشعب". فماذا حدث؟ أتريد ان تعرف بالفعل ماذا حدث؟ تعال ايها الرجل وقم من قبرك وانظر. فهذا هو العالم العربي من المحيط الى الخليج يلفه "زنار" من الذل. حكام يتكلمون كالجبابرة ولكنهم يتصرفون كالصعاليك. حكام يخافون الاجنبي، ولكنهم يخيفون شعوبهم. حكام يتكلمون على الوطنية وهم يستعملون الوطن سلعة لمصالحهم الشخصية. فمن العراق الى فلسطين الى لبنان ملاحم من الذل والعار. رجال تلهث وراء السلطة والمال. ليس فيهم واحد مثلك حاضر لأن يموت في سبيل فكره، في سبيل مبادئه. وحكك بينهم كلهم اخترت ان تموت حتى لا تساوهم على فكرك. كانت الحياة لك "وقفه عز فقط".

ونذكرك اليوم اكثر من أي يوم مضى لأن العدو الذي نذرت نفسك لمحاربتة، قد نما وكبر واصبح وحشا ينهش في جسد هذا الشرق. لقد حاربت الطائفية السياسية، وطالبت بفصل الدين عن الدولة، وأمنت بأننا "كلنا مسلمون. فمننا من أسلم الله بالقرآن ومننا من أسلم له بالانجيل". لقد أردت خلق مفهوم جديد للوطن وللوطنية بعيدا عن الانتماء الديني. لكن ما حدث هو عكس ذلك تماما. قم ايها الرجل من قبرك وانظر. فهذه هي الامة التي أردت خلقها بالحركة القومية السورية الاجتماعية قد اصبحت فريسة لحركات دينية متطرفة، لا ترفض فصل الدين عن الدولة فحسب بل تريد احلال الدين مكان الدولة. وأقطع ما حدث في غيابك هو ظهور البن لادينية، وهي حركة دينية - سياسية، تؤمن بالعنف وتحاول "خطف" الاسلام واستعماله، لا كأداة سياسية فحسب بل كأداة حرب ضد المسلمين الذين لا يعتقدون مذهبها وضد الغرب والمسيحية. كما تتجرأ هذه الحركة، بسبب جهلها التاريخ والحاضر، على التشكيك في التزام المسيحيين في الشرق قضايا العرب والاسلام. وما هو اكثر خطرا وهو لا من ظهور هذه الحركة، هو صمت العرب، حكاما ومتقنين، تجاهها. فليس هناك حاكم عربي واحد تجرأ ليومنا هذا على التصدي لها بوضوح وبقوة ودون تردد. كما ان كثيرا من المثقفين العرب يتأرجحون بين الصمت والدعم الضمني لها.

ونحن في هذا المجال مثلك، نطالب بفصل الدين عن الدولة. كما نطالب بما هو أكبر من ذلك، وهو فصل الثقافة والعلم والتربية عن الدولة وعن الدين في أن واحد. إذ ليس للثقافة والعلم والتربية دين. فدينها هو الانسان، أمسلما كان هذا الانسان ام مسيحيا أم ملحد. ان موقفنا هذا، من الدين ليس ضده، بل انه بالعكس يرمي الى المحافظة عليه وعلى جوهره. ورغم انني أؤمن بأن الهدف الاساسي للتربية هو صنع عقل جديد، بل انسان جديد، فانا أؤمن ايضا بأن هذا الانسان لا يكون عظيما بالمعرفة وحدها من دون القيم الانسانية والروحية. وهنا يكمن التحدي للانسان الحديث.

والسؤال هو كيف نوفق بين المعرفة والقيم؟ كيف نوفق بين الاديان السموية لمنع حصول التصادم بينها وللارتقاء الى حضارة انسانية يكون الانسان، وليس الدين فيها هو المحور. ففي عملي اليومي لم أر يوما جرحا مسيحيا وجرحا مسلما، كما انني أردت كل يوم ما قاله جبران من اكثر من ثمانين سنة "انا مسيحي من الشرق وأفخر بمسيحياتي الا انني أحب النبي العربي وأتوق

الى مجد الاسلام".

والكلام على الثقافة والعلم والتربية يقودنا الى مسألة اساسية، وهي مسألة الحرية في هذا الشرق، فلا ثقافة او علم او تربية من دون الحرية. ونعترف لك بأنه لم تقم في الشرق بعد، حركة سياسية تكون الحرية محورها كالحركة القومية الاجتماعية، ألم تقل انت انها "حركة الحرية"؟

بعدك أيها الرجل قامت ثورات كثيرة في العالم العربي تحت شعار استرجاع الوطنية والكرامة والحرية، الا ان هذه الثورات كلها ومن دون استثناء كانت ثورات ضد الوطن وضد الكرامة وضد الحرية. ومعذرة ان نجرؤ ونقول لك ان بعضا ممن انخرطوا في عداد حركتك، أصبحوا بعد موتك أعداء للحرية. انهم لم يهابوا موتك، لم يخافوا صمتك، وان قمت من قبرك ونظرت فماذا ترى؟ ترى عدوا اسرائيليا متربصا بنا ويرهينا. انه يعرف عن يقين ان الحرية هي "البوابة الى الحضارة، البوابة الى العالم" لذلك يغلقها امامنا. وترى من جهة اخرى العالم العربي واحة من الاستبداد السياسي والاستبداد الديني. وما يجمع شعوبنا هو القمع لها واضطهاد الفكر فيها. وسترى ايها الرجل شيئا لن تصدقه وهو ان الغرب، الغرب ذاته، الذي دعم كل هذه السنين الانظمة التوتاليتارية في الشرق العربي، جاء اليوم ليوصي بالديموقراطية والحرية. لقد اكتشف الغرب متأخرا ان الحرية في الشرق هي مصلحة استراتيجية له الهدف منها الحد من خطر الارهاب عليه. الا ان هناك شكا في مصداقية الغرب وقدرته على زرع الحرية في بلادنا. الحرية في رأينا لا تستورد، فاما ان يزرعها رجال من بلادنا وتنمو في الارض، او يزرعها أناس غيرنا فتبيس وتموت. ألم تقل: "ان لم تكونوا أحرارا من أمة حرة فحريات الأمم عار عليكم؟".

لقد اخترت ان تموت من اجل ان يحيا فكرك. لقد وقفت وقفة العز، فضلت الموت بإياء، على الحياة بالذل، لقد اخترت الحرية كمحور للحركة القومية السورية الاجتماعية. لقد طالبت بفصل الدين عن الدولة. من اجل ذلك كله، اسمح لي ايها الرجل ان اقدم لك احترامي وأقول لك: قم من صمتك وتكلم. وسنصغي الى كلامك. الحق أقول "اننا نختلف في "أي لبنان نريد"، ولكن كلانا يريد لبنان حضاريا علمانيا عظيما، وكلانا يرفض لبنان طائفيا متخلفا ذليلا.

لتباركك الارض التي تضمك، أيها الرجل، "وليكن ذكرك مؤبدا".

التاريخ: 2004-03-04 رقم العدد: 21889 الصفحة: 9 العمود: 5

## العنوان: المعرفة عند سعادة فعل للمستقبل

الكاتب: عشي ألياس

عندما طلب مني ان ادلي بشهادتي في مئوية سعادة (1904 - 2004)، تعددت المشاهد امامي:

فسعاده كان مفكراً، وعقائدياً، واديباً، وكان الى ذلك، صاحب كاريزما مدهشة ساعدت في تأسيس حزب شغل الامة والناس كل هذه السنوات، ولا يزال. وبدون تردد انحزت الى "سعاده" المفكر والفيلسوف، لانه، اولاً، طبق بحكمة وبراعة اسئلة كانط الثلاثة:

- ماذا نستطيع ان نعرف؟

- ماذا يجب ان نفعل؟

- وماذا نستطيع ان نأمل في المستقبل؟

ولانه، ثانياً، اعتبر ان "العقل هو المشرع الاول للانسان". ولانه، ثالثاً، انطلق في نظريته الى الكون والحياة من سؤال طرحه على نفسه حتى قبل ان يكتمل نموه الجسدي والثقافي: "ما الذي جلب هذا الويل لأمتي؟"

ولأن المرء، كما يقول كونفوشيوس، لا يمكن ان يحصل على المعرفة، إلا بعد ان يتعلم كيف يفكر، فان انطون سعادة بنى عمارة فكرية مخالفة تماماً للمدارس الفكرية السائدة والمتكئة، في اكثرها، على المذاهب والطوائف والاثنيات والاقطاعات، واحياناً على رومنسية ادبية، عمارة فكرية اجتماعية ينضوي تحت سقفها انسان سوري الملامح، انسان قادر على توحيد امته المشلعة، انسان يفخر بجذوره الحضارية العريقة، انسان يفكر، يسأل، يشك، ليصل الى "المعرفة التي هي قوة" كما يقول سعادة.

ولقد ادرك المفكر انطون سعادة، منذ ان طرح اسئلته، ان المهمة صعبة، وان غول الطائفية والمذهبية والاقطاعية سينقضّ عليه وعلى مبادئه، وان لا سبيل لانتصار هذه المبادئ إلا بالصراع، وبتأسيس حزب منظم قادر على حمل افكاره ونشرها والقتال في سبيلها.

ولم يبق امام سعادة الا ان يختار القاعدة الصالحة كي يغرس شجرته فيها، فتنمو وتثمر ويكون لها فيء ينقذ امته من هذا التصحر الذي ضربها منذ سقطت بغداد تحت اقدام هولاء. ووجد المكان في رحاب العلم، في الجامعة الاميركية في بيروت حيث كان يعمل استاذاً للغة الالمانية.

في الجامعة اخذت اسئلته مدارات مختلفة، كان كل سؤال يختبئ وراء سؤال او اكثر، حتى اذا اكتشف اجابة ترضي العقل، برزت امامه مجموعة من الاسئلة الحارضة تدفعه اكثر فأكثر الى القراءة والتنقيب والبحث والكتابة، الى ان وضحت الصورة امامه وادرك ان المعرفة فعل للمستقبل، وان تخلف الامة السورية هو تخلف حتمي ولكنه ليس تخلفاً دائماً، انه تخلف حتمي ظرفي أي ما دامت هذه الامة ستبقى شيعاً، وجاهلة، ومفتقرة الى خطة نظامية تمكنها من مواجهة العدو ذي الملامح المختلفة.

ان استشراف سعادة لم يكن استشرافاً نبوياً ما ورائياً، فسعادة لم يلتفت الى الماورائيات، كانت فلسفته فلسفة الارض، وفلسفة المجتمع، وفلسفة الانسان القادر على تغيير "مجرى التاريخ" اذا عرف هذا الانسان كيف يتجه نحو المعرفة والقوة والنظام، وكيف يتعامل مع هذه المبادئ الثلاثة لتصبح مبادئ اجتماعية بامتياز.

والسؤال... كيف لهذه المبادئ الثلاثة ان تصبح مبادئ اجتماعية بامتياز؟

وجاء الجواب في اعلانه انه صاحب مشروع نهضوي، وانه سيعمل على تحقيقه، وانه في سبيل ذلك اسس حزباً سياسياً (1932) يقضي على الشرذمتين الجغرافية والبشرية، ويعيد الى الامة السورية وحدتها وحضورها، لتكون منارة العالم العربي.

ومنذ الايام الاولى لاعلان تنظيمه التفتّ حول انطون سعادة نخبة في المثقفين الذين وجدوا في مبادئ الحزب وتعاليمه رداً على الانتدابيين الفرنسيين والبريطانيين، ومواجهة للطائفية المخيفة المتمثلة في محاولة الغرب اقامة كانتونات طائفية في الشام ولبنان وفلسطين والعراق، زاداها خطورة تدفق اليهود من انحاء العالم كافة الى فلسطين واضعين "وعد بلفور" (1917) موضع

التنفيذ.

واليوم بعد مئة عام على ولادة الزعيم انطون سعاده، وبعد اثنين وسبعين عاماً على تأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي، نلتقت حولنا فنرى ان سنايك المغول عادت الى بغداد، وان فلسطين مطروحة للبيع في مزاد علني وفي اسواق النخاسة العربية، وان الترهل والاحباط يلقان الشارع العربي من اقصاه الى اقصاه، وان الحلّ هو في العودة الى جمرات سعاده التي لا تزال الحلّ الوحيد للقضاء على الظلمة.

التاريخ: 28-02-2004 رقم العدد: 21886 الصفحة: 28 العمود:

1

## العنوان: رومانسيّ الحلم والحقيقة

الكاتب: حياة أبو فاضل

قبل مئة سنة، مدّ يده آذار وأتى به الى هذه البقعة من الارض، فتىّ للربيع. وكانت سوريا الممتدة هلالاً خصيباً شمال الجزيرة العربية تنتظر من يدق بابها المغلق لتستفيق. كأنما من صغره أدرك سرّ الرسالة التي حمل، شغوفاً بكل حرف من حروفها، بكل حبة تراب من الوطن الكبير، متمكناً من شرح معنى الأمة والوطن والمجتمع والانتماء الى الارض، والى الآخر، كأساس لكل معرفة ترقى بالانسان الى اسمى ما يطمح اليه.

رومانسياً تكلم، ولمعت عيناه بلحم حوّلته الى حقيقة من خلال مؤلفاته التي رسمت نسيجاً متماسكاً لبناء أمة كانت قوية، حكى عنها التاريخ القديم، وكان عليه إفساح مكان لائق بها على صفحات التاريخ الحديث. ولم تخفه العوائق الكثيرة، وفي مقدمها الطائفية.

لم يحبط، فالمعرفة النابعة من روحه وضميره أخبرته أن "لا مفر من النصر" مهما طال الزمن، فتاريخ الأمم لا يقاس بالسنين بل بالوعي الذي ينتشر ويوحد. وجذب اليه اكثر مثقفي لبنان وسوريا وفلسطين والعراق، وبدأت الخطوة الاولى في مسيرة طويلة خارج المنطق السياسي والطائفي العربي للنصف الاول من القرن العشرين، ذاك المنطق المغلق المريض المستمر الى يومنا هذا. قال: تعدد الاديان لا يفرّق والدين علاقة خاصة بين الانسان والخالق، ولن تكون نهضة ولا انسان جديد ما لم يفصل الدين عن الدولة. وأدرك خطر الهجمة الصهيونية على فلسطين وحاربها مخلصاً، خلافاً لمن حاربها صورياً متأمراً. والصهيونية الآتية على ظهر حلم اسود يمتد من النيل الى الفرات أخافها حلم سعادة بأمة سورية، فلسطين أحد اركانها، وهكذا أزيح من درب الصهاينة، وحكم بالاعدام بلا محاكمة في وطنه، واستشهد واثقاً من أن فكره العظيم سيظل يتفاعل حتى يتحقق ما جاء من اجله.

"كلامي لاجيال لم تولد بعد (...) والمعرفة قوة (...) وإن فيكم قوة لو فعلت لغيرت وجه التاريخ". والقوة التي تكلم عنها سعادة لا علاقة لها بالبطش والاستبداد. تكلم عن قوة المعرفة التي توحد في ظل الحق والخير والجمال. أقلية فهمت عمق رسالته، وكثر حملوها وتسلقوها الى تحقيق طموحاتهم الخاصة، إلا أنها باقية مفتاحاً لأمة ستقوم من الموت مهما طال الزمن، وأنطون سعادة حمل مفتاح قيام أمة موحدة أحبها حتى الموت.

التاريخ: 21-02-2004 رقم العدد: 21879 الصفحة: 9 العمود: 5

## العنوان: مئة عام... ولا تزال زعيماً للمستقبل

## الكاتب: الرياشي ماهر

للاول من أذار هذا العام نكهة مميزة، كونه المحطة المؤوية الاولى لولادة مفكر كبير من بلادنا، ثائر عظيم، فيلسوف وجودي، باحث كوني، باعث نهضة عز نظيرها، صاحب دعوة معرفية عقلانية ثقافية شاملة، ولادته وحياته وسيرته واستشهاده وحدة متكاملة وتناسق ألوان وتناغم ألحان.

انطون سعادته زعيم ليس بالمعنى الاعتيادي المتعارف عليه في بلادنا؛ فهو ليس زعيماً لطائفة مذهبية، ولا على جماعة منغلقة او حي في منطقة ولا زعيماً سياسياً كما درجت تسمية المتعاطين المخضرمين في الشأن السياسي؛ وزعامته ليست ارثاً عائلياً ولا من مشيخة او بكوية اقطاعية ولا هي نابعة من نرجسية كما وان دعوته ليست بشخصانية ولم يطلب ولاً مطلقاً له، بل للعقيدة التي وضع وللمبادئ التي انشأ وللمؤسسة التي هي اداة تحقيق النهضة التي تحمل رؤية شاملة للحياة والكون والفن، فهو زعيمها، وصلاحياته تنتقل للمؤسسة بعملية انتخابية تبدأ من لجنة المديرية وصولاً الى المجلس القومي، هي قمة الرقي في التعاطي وتسلم المسؤوليات في اي دولة متمدنة ومتحضرة كالدولة القومية الاجتماعية، لانها مشروع متكامل للتغيير الجذري، اعتمادها على الاصاله الكامنة وركنها الاساس عقل هو دوماً الشرع الاعلى وميزان المسائل وهو دوماً منفتح على كل جديد من تطور وتقدم في كل العالم.

وهذه الدولة المدنية العلمانية يتساوى فيها الناس مساواة حقيقية في الحقوق والواجبات وتقيم علاقاتها الانترنسيونية في ضوء متطلباتها، فيكون لها المكانة المرموقة بين الامم لما اعطت واغنت العالم، وما الرقم الا دليل قاطع فالعالم يكتب بأرقامنا ونحن نكتب بالهنديّة؛ وهذه المؤوية هي لمناسبة ان نعوض في سبر اغوار فكره الرائد والمستشرف، وان نتأمل في سيرته القصيرة زمنياً (45 عاماً) لانه لم يعد السنين التي عاشها بل الاعمال التي نفذها، زاهداً، منقياً عن حقيقة هي نحن، فاعتمدها مفتاح السؤال التاريخي المطروح بقوة اليوم: من نحن؟؟ وتبعها بسؤال متألم: ما الذي جلب على شعبي هذا الويل؟

ومن هذين السؤالين الفلسفيين كانت العقيدة والمبادئ الاساسية الـ8 والاصلاحية الـ5 والغاية المنشودة منهما، وكان التأسيس للحركة النهضوية التي ستزِيل الويل الجاثم عن صدر امتنا وعالمها، حركة ركنها الاساس اخلاق واستقامة وكبر، وفهم عميق لثقافتها واهدافها والسبل الایلة لتحقيقها، وللنجاح في ايصالها الى الشريحة الاكبر من شعبنا على اختلاف مستوياته الفكرية، بدون جموح او انحراف وايضا بدون خشبية ولا صنمية وحرافية، وبدون شوفينية او ادعاء امتلاك الحقيقة كاملة غير منقوصة، وبدون تصغير الآخرين لأن تصغيرهم لا يكبرنا، بل نحن نكبر بنتقبة صفوفنا من الفاسدين والمتسلقين والمتملقين والجهلة واقصاءهم اولا عن مراكز المسؤوليات وتاليا عن جسم النهضة ككل، ولطالما كان هؤلاء سببا رئيسيا في تهجير الادمغة والمتفقين، وايضا كانوا سببا لنفور الكثير من المواطنين لأننا ان اخفنا في ايصال فكرنا لهم نكون قد مارسناه واعطينا النموذج الصالح الذي يعبر عن جوهره، لنلا تنطبق علينا: اسمعوا اقوالهم ولا تفعلوا افعالهم.

فالزعيم كما ذكرنا أنفا بولادته وحياته وسيرته، بخاصه وعامه، بظاهره وباطنه، بقوله وفعله نسق متكامل وانسجام ألوان وتناغم ألحان وما استشهاده الا ابلغ دليل على ذلك، فختم رسالته بدمه، ولأن التحديد شرط الوضوح، كان تحديدها بجملة عناوين تدرج على الشكل الآتي:

1- في الشأن الوجودي: الله مجموعة قيم اخلاقية، مجتمعية، انسانية تجسدت برسالتين (المسيحية والمحمدية) وهما دين واحد على انه وسيلة لتشريف الحياة ولا يعكس، فللفرد احقية بأن يعتنق الرسالة التي يشاء وعلاقته بالله علاقة عمودية فردية لا تمر عبر احد، اما مجتمعيًا فحسب شعب واحد يجب الا ندع طقوس وشكليات الرسالتين تفرق بيننا، لأن اقتتالنا على السماء سيفقدنا الارض.

2- في الصراع المصيري: لليهود أصهاينة كانوا ام غير ذلك، اطماع في بلادنا على انها ارض الميعاد، تورا وتلمودا وممارسة، وحرنا معهم حرب وجود لا حرب حدود، فإما ان نتنازل عن حقنا لنكون "واقعيين"، واما ان ننتع بالتحجر، انه صراع الاجيال بين الخير والشر، بين الحق والباطل، حتى ينتصر احدهما على الآخر، فإما ان نكون احرارا ومن امة حرة واما ان نصبح "غوييما" لليهود وعلينا واجب الاختيار!! ووضع الخطة النظامية المعاكسة لمواجهتهم ثقافيا وعسكريا.

3- في الشأن المجتمعي: نحن مجتمع مزقته اثنيات، وكيانيات وطانفيات مذهبية، وولاءات مختلفة بغير محلها، حتى بنتا متعصبين لها على انها هي الاساس ووحدة المجتمع هي الحلم البعيد المنال، او حتى السراب الذي لا يمكن تحقيقه.

فهذه الاختلافات التي مزقت المجتمع اربا متناحرة، كانت على الدوام سبب خرابه، ومسببا دائما لتعاسة ابنائه، ويظنون انها ضمانهم من الذوبان في اكثريات على انهم الاقليات، وهذه النظرة الخاطفة تجعلهم يتوقعون حيث هم بعصبية مقبنة وممينة، لا خلاص لهم منها الا بالمجتمع المدني المنفتح، الذي يجعل من هذه الفوارق بين الناس تمايزات بسيطة ومصدر غنى وتنوع، يضيف على حياتهم بريقا وحركية تنم عن وعي لاصالة تراثهم الحضاري، ولوحدة بلادهم الطبيعية.

4- في العروبة الحقيقية: نحن امة هي احدى امم العالم العربي الكبير من المحيط الى الخليج، بل هي الامة المؤهلة لقيادته، فلا امة عربية واحدة بالمعنى العلمي، لان لا اللغة ولا الدين رابط بين الشعوب، فلكل امة من هذا العالم خصائصها التي تميز بها عن الامة الاخرى فنحن من العرب المستعربين لاننا نتكلم اللغة العربية التي اغنيناها فكرا وادبا وشعرا؛ وليس من العرب العاربة (العربية اي الصحراء) لان بلادنا خصبة (الهلال الخصيب) اما وجود بعض المناطق القاحلة فهو بفعل الاهمال المزمن، فنشكل مع الامم الثلاث الباقية (المغربية، شبه الجزيرة، وادي النيل) جبهة عربية وليس امة واحدة، لتكون سدا منيعا بوجه اطماع الكثيرين. معها تنتقل من عروبة الشعارات الغناء الوهمية الى عروبة علمية قوية هي القصد والمبتغى.

5- في الاممية العالمية: من يدري فلقد يصبح العالم كله امة واحدة! بهذه العبارة من "نشوء الامم" هي الجواب ولكن الى ان يصبح العالم امة واحدة يبقى واقع وامم ومجتمعات وقوميات لا يمكن تجاهلها والانفلاش في مغامرات غير مضمونة النتائج واخيرا لا يمكن لاي باحث ان يحوط فكر سعادة بمجموعة عناوين تشكل مدخلا ويعطيه حقه كاملا، لذلك هي دعوة مستمرة لنغوص ولتبيان مدى راهنية هذا الفكر ومعالجته لقضايا اليوم ولاستشرافه للغد، ليستحق عن جدارة ان يبقى: زعيما للمستقبل.

التاريخ: 11-03-2002 رقم العدد: 21201 الصفحة: 16 العمود: 1

## العنوان: هذا الاعدام الذي لا يُطاق

الكاتب: سيف رولان

رصاصات عديدة تطلق عليه دفعة واحدة فجر الثامن من تموز 1949، على شاطئ الجناح في بيروت، تفصل روحه عن جسده وهو يقول: دعوني ارى الرصاص يخترق صدري. وكان قد اعلن من قبل: ان الدماء عينها التي تجري في عروقنا ليست ملكا لنا. انها وديعة الامة فينا متى طلبتها وجدتها. رفاقه ينيشون الجثمان بعد ايام ويُخبئونه في مكان حيث لا يزال. وروحه تنطلق حرة دون قيد، تجول حيث تشاء، تشد الهمم تهز الضمائر وتحت على رفض الجهل والخوف والتفكك والفشل وطلب العلم والمعرفة والوحدة والازدهار. هو اول من: - دعا الى استعمال القوة لدعم الحق وتنظيم الكفاح المسلح لمحق الدولة اليهودية واستعادة كل شبر من ارض فلسطين. - دعا الى سلوكية جديدة في العمل السياسي مبنية على الصدق والاخلاص والمعرفة والاحتراف. - رفض اية تبعية لاية ارادة خارجية. - شرح اهمية الوحدة الجغرافية في نشوء

المجتمعات، ودعا الى الوحدة في الهلال الخصيب على اساس وحدة الحياة، اي وحدة الحاجات ووحدة المصير لا وحدة العنصر والدين. - دعا الى اعادة مجد الدولة الاشورية، اول دولة كبرى في العالم، الى بلادنا. - دعا الى المساواة امام القانون والغاء القنوية. - علم ان الكائن الوحيد الدائم هو المجتمع، لذلك هو المرجع الاخير لتقييم الاعمال. - قال بالتكامل بين الاختبار الحسي المادي والاختبار الفكري الروحي. - دعا الى نظام سياسي جديد لا يعتمد على عدد اصوات المقتربين. - دعا الى رفض التسلط والاستغلال، مع المحافظة على الملكية الخاصة والمبادرة الفردية المنتجة المتوافقة مع مصالح المجتمع. - قال بمنع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة لانهم لا يملكون الكفايات المهنية اللازمة الادارية - الاقتصادية - العسكرية - التعليمية لتولي الحكم في البلاد والسير بها على طريق النجاح. - شيد مؤسسات تحيط بالفرد القائد وتطبق القانون لضبط الخلافات واطلاق الانتاج في زمن لم يعد فيه قائد ولا مسؤول. وعلن الثورة ردا على هجمة اعتقالات وتنكيل، فقبض عليه وحوكم وادم خلال 24 ساعة! طرح على البلاد مشروعا سياسيا كاملا بعيد المدى يؤمن بتحقيق نهضتها، ثم اعطى درسا في الثبات والمثابرة والتضحية حتى تقديم الدماء. هو اسطورة في تاريخ بلادنا الحديث. في ذكرى مولده (الاول من آذار 1904) تعلن مؤسسة الوفاء لانطون سعادة عن انتهاء تحضير نموذج لتمثاله سيرعرض في بيروت وزحلة ودمشق واللاذقية وعمان وبغداد قبل البدء بتنفيذه. اقامة تمثال للزعيم انطون سعادة لا تشبه اطلاقا اقامة نصب لاصنام لا فكر لهم. والغاية من اقامة التمثال اشعال رغبة عند الجيل الجديد للتعرف على سيرته. ففي وقفته مواجهة وعز وحنوان وثبات هي فضائل اساسية ضرورية للنشء الطالع. وسنقيم الى جانبها مكتبة توزع كتاباته وخطبه. عن الذين اطلقوا الرصاص عليه، كما صلبوا المسيح ابن مريم، نردد بوحى من الآية القرآنية الكريمة: ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم. ها هو لا يزال حيا. الرصاص لم يعد يؤثر فيه. يتابع نشر تعاليمه ويخاطب الاجيال لنهضة البلاد والتغلب على الاعداء.

التاريخ: 06-05-1999 رقم العدد: 20339 الصفحة: 14 العمود: 1

## العنوان: حوار مع أنطوان سعادة قبل 52 عاما في صحيفة تركية

الكاتب: نور الدين محمد

"مؤسسة سعادة"، التي تعنى بنشر الآثار الكاملة لمؤسس الحزب القومي السوري الاجتماعي وزعيمه التاريخي انطون سعادة، "عثرت"، في سياق جهودها المكثفة عما كتبه "الزعيم" وما كتب عنه، على نص حوار اجرته معه صحيفة تركية منذ 52 عاماً. الصحيفة هي "وطن"، والحوار اجراه مبعوثها الخاص في الشرق الاوسط فاروق فينيك، في سياق تحقيقات اعداها من العالم العربي في مطلع صيف 1947. وحلقتان من هذا التحقيق في يومي 5 و8 تموز تتعلقان بالمقابلة مع انطوان سعادة، فيما تغطي الحلقات الاخرى من اجواء الانتخابات النيابية التي جرت ذلك العام في لبنان ومواقف القوى السياسية... وتعكس هذه التحقيقات الاهتمام الاعلامي التركي في تلك المرحلة بالجوار العربي والاسلامي. ولم تكن تركيا قد انغمست بعد بقوة في المشروع الغربي، من حلف شمال الاطلسي الى المجموعة الاوروبية. في حين ان الاهتمام الاعلامي اليوم اصبح مقلوباً: لامبالاة اعلامية تركية مقابل اهتمام اعلامي عربي بما يجري عند "الجار الشمالي". يقدم الصحافي فاروق فينيك لحواره مع سعادة بصفته "الرجل الأكثر اثاراً في سوريا... يُنظر اليه بعين مزدوجة، هو فاشي كبير في نظر معارضيه، وديموقراطي مثالي في نظر اتباعه"، جرت المقابلة بعد فترة قصيرة على عودة سعادة الى لبنان من الارгентين بعد غياب دام 8 سنوات. ويصف الصحافي خطبة سعادة لدى هبوطه من الطائرة بأنها "قنبلة انفجرت" حيث خاطب الحشود التي جاءت لاستقباله وقدرت بخمسين الفا قائلًا: "سوريا ولبنان دولة واحدة. لا يمكن فصل احدهما عن الاخرى. لقد جنت الى هنا من اجل توحيدهما" ... فكانت مذكرة التوقيف بحقه لاعتبار ذلك ضد استقلال لبنان، وكان تخفي سعادة وتنقله من مكان الى آخر. لا يشير مراسل "وطن" الى مكان اجراء الحوار. لكن وصفه للمناطق التي مرّ فيها، مع رجال سعادة، للوصول الى "الزعيم"، يشي بأن المكان هو ربما ظهور الشوير او احدى البلدات المطلة على وادي حمانا. يصف المراسل سعادة بأنه كان "شاباً للغاية"، و"يسير بخفة ورشاقة يفهم منها انه يمارس الرياضة" وكان "مفعماً بالحيوية وذا وجه بشوش". يقول المراسل ان

سعادة كان يعرف الفرنسية قليلاً، لكنه يتحدث بصورة جيدة الانكليزية والالمانية و... "ليس سهلاً العيش في الخفاء" قال له الزعيم. تتضمن المقابلة مواضيع شتى من صراع سعادة والقوميين مع الحكومة اللبنانية الى وحدة سوريا ولواء الاسكندرون والملك عبد الله، ملك شرق الاردن، وموقف تركيا من الشيوعية والقضية الفلسطينية، الى أمور اخرى، الحوار ليس طويلاً، لكنه يكتسب اهمية من اكثر من ناحية. وهنا النص الحرفي للاسئلة والاجوبة، كما وردت في المقابلة، التي كلفتني "مؤسسة سعادة" ترجمتها من اللغة التركية الى العربية، مع التحفظ على مدى الأمانة في نقل الحوار من جانب مراسل صحيفة "وطن" والتي قد تتضمن ما قد لا يتطابق مع ما هو معروف تقليدياً من مواقف للزعيم الذي أعدم في غفلة فجر أحد أيام 1949.

التقديم والترجمة محمد نور الدين "الحدود السياسية بين سوريا وتركيا تتحدد تبعاً لعلاقات البلدين" \* لماذا قرار التوقيف بحقكم؟ - وأنا أيضاً لا أعرف... قال ثم اردف: انا منذ تسع سنوات في اميركا الجنوبية. جئت الى هنا في 2 آذار. استقبلني عشرات الآلاف. قلقت الحكومة من وجودي. وظنوا انهم بتوقيفي يضربون الحزب. لقد اتضح مستقبل الحزب. واطن انهم اتخذوا هذا القرار من اجل ابعادي وعزلي عن الساحة السياسية. وكما في كل مكان، هنا ايضا، يريد بعض الذين على رأس الحكومة ان يديروا البلاد كأنها مزرعة لأبائهم. الذين يقودون الحكومة لا يقومون بشيء سوى استمرار النظام الاقطاعي. يتولون حكومة عن الادارة التي تستمر دون اصلاح ودون برامج. ان هذا استمرار مباشر للنظام الاقطاعي. \* ما هو اسم حزبكم؟ - ان حزبي هو الحزب السوري القومي. لكن الآن من اجل امكان العمل، فاننا نكتفي باستخدام اسم "الحزب القومي". \* ما هي غاياتكم؟ - تحقيق وحدة سوريا. \* هل يعني ذلك سوريا الكبرى؟ - نعم. \* هل انتم سوية مع الملك عبدالله؟ - لا. لقد مرّ، منذ ان بدأ الملك عبدالله هذا العمل، ثلاث، اربع سنوات. بينما نحن وضعنا اساس ذلك قبل 15 سنة. الملك عبدالله يريد، مباشرة، ما نحن اردناه قبل 15 سنة. ان حزبنا يسير اليوم وفق مبادئ تستند على اساس اجتماعية واثنية. اذا تأسست سوريا الكبرى يوماً ما، فهذا سيكون فقط من خلال نجاح حزبنا. عندنا اعضاء مسجلون ما يقارب 60 الفا في سوريا و50 الفا في لبنان ومئة الف في شرق الاردن وفلسطين، ولنا اضعاف هؤلاء من المناصرين. بدون مساعدتنا لا يمكن لأحد ان ينجح ولا يمكن فعل اي شيء. \* ماذا تريد ان تفعل؟ - نريد تأسيس سوريا الكبرى. ونعمل من اجل تحقيق سوريا الكبرى ضمن الحدود الطبيعية. \* ما هو قصدكم بالحدود الطبيعية؟ هل يمكن ان نعرف ما يجول في بالك؟ - توجد نظرتان لحدود سوريا: الحدود الطبيعية والحدود السياسية. حدود سوريا الطبيعية تمتد الى طوروس، اما بالنسبة الى الحدود السياسية، فانها تتحدد وفقاً للعلاقات بين البلدين. \* هل تريدون الالمام الى الاسكندرون؟ قلت. - نعم، قال. اننا مستعدون دائماً للحوار مع تركيا من اجل حلّ مسألة الاسكندرون. \* ألم تُظهر لكم الاحداث والوقائع ان تركيا غير مستعدة للدخول في مساومات حول اراض هي جزء من الوطن؟ قلت وتابعت: هل تعرف اللغة التركية؟ لو كنتم تعرفون لكنت سأقول لك قولاً ماثوراً. مساعد كان يجلس الى جانبه قال: - لو تعطونا الاسكندرون فسندهب الى هناك ونتعلم التركية. \* لا، قلت. لا تتعبوا. نحن سنأتي الى هنا ونعلمكم التركية. فهذا اسهل. عندما لاحظ انطون سعادة ان الحديث اخذ شكلاً جدياً اراد تغيير كلامه: - ان العلاقات بين البلدين تتواصل دائماً في ظل حدود الصداقة. ان حزبنا هو حزب قومي. نحن ضد الشيوعية. نحن نعرف اطماع الشيوعيين. اذا استلمنا السلطة فسوف نعاقبهم كمنزيبين بالتعامل مع العدو. نحن نعرف ان تركيا تقف ضد الشيوعية. ونحن لهذا السبب نحب تركيا. \* ما هي نظرة حزبكم الى مسألة فلسطين؟ - ان فلسطين جزء من سوريا. وهي لا يمكن ان تنفصل عنها. يمكن ان نقبل بوجود الاقلية اليهودية تحت الحاكمية السورية وضمن حدود سوريا، لكن لا يمكن ابدأ الاعتراف بالاستقلال لهم. \* هل انت فاشي؟ - ان معارضينا يقولون اي شيء في حقنا من اجل تشويهنا. يقولون اننا فاشيون واننا رجال الملك عبدالله. واننا دمي بيد الانكليز. هذا لا اصل له ولا اساس. نحن رجال سوريا العظمى، ونعمل فقط لمنفعة سوريا الكبرى. انهم يريدون اظهارنا كرجال للملك عبدالله بسبب السمعة السيئة للملك عبدالله لكي يضعفوا قوة حزبنا في انتخابات سوريا. لحزبنا فروع في شرق الاردن، لقد ذهبت الى عمان عام 1938 واستطيع الذهاب مجدداً. هل يظهر ذلك اننا نتعاون مع الملك عبدالله؟ \* هل انتم متقاتلون بالنجاح في الانتخابات؟ - سوف نخوض الانتخابات السورية. الحكومة لم تعترف رسمياً بحزبنا. الشعب سيكون حتماً معنا. لكن مهما تفعل فان القوة بيد الحكومة. هذه الانتخابات لن يكسبها الشعب بل الحكومة. \* لقد تحدثنا كثيراً عن السياسة. لنتحدث بعض الشيء عن حياتكم. \* كيف تمضون وقتكم؟ - غالباً امضيه في القراءة. \* كم عمرك؟ - 04 سنة. \* هل انت متزوج؟ - زوجتي في الارجننتين. بعد شهر ستكون هنا. عندي بنتان.

## العنوان: من سلمى الحفار الكزبري ألى أدفيك شيبوب

الكاتب: الكزبري سلمى حفار

صديقتي الادبية والكاتبة المجلية ادفيك أحبيك أطيب تحية بعد رجوعي الى لبنان في رحلة طويلة الى كندا واسبانيا، وابثك اشواقي. كان سروري بالعودة الى بيتي في هذا الجبل الجميل المبارك كبيراً، ثم كان سروري بتسلم كتابك الاخير الرائع "رسائل حب" من الزعيم الكبير انطون سعادة اليك اكبر واكبر حقاً! لك مني تهننتي الحارة باخراجه في هذه الحلة اللاتقة بك وبكاتب تلك الرسائل الفريدة في مكتبتنا العربية المعاصرة. عزيزتي الغالية ادفيك: أنت تعلمين كيف هللت لمشروع نشرها يوم التقينا هنا، في بيت مري، منذ عام مضى، وقرأت عليّ المقدمة الجميلة التي كتبتها لهذه الرسائل، فلقد جاءت مقدمتك تحفة ادبية وانسانية وضعت فيها جلّ ما فزت به في حياتك الشخصية من تجارب وخبرة، وأجمل ما فزت به في مسيرتك الصحفية الشريفة، والكتابية الرصينة، من تمكن باللغة، وسبر لاغوار الفكر والقلب، واسلوب منور مشرق قد نفذ من قلبك الكبير الى قلوبنا، نحن قراءك القدامى، المعجبين بك امرأة مناضلة، وزوجاً وفيه، وأماً رؤوفاً، وحببية شابة الهمت رجلاً فذاً بين الرجال تلك الصفحات المشرقة والمؤثرة والخالدة معاً. أكرر لك تهننتي مع نادر بهذا العمل الجديد الجليل، مشفوعة بفرحي بها لأن في نجاحك نجاحاً لكل كاتب واديب عربي يعتز به! سأحاول الاتصال بك وزيارتك في اول فرصة والله اسأل ان يحفظك لنا وللقلم الحر الشريف ولاسرتك بكل خير.

## العنوان: أنطون سعادة, عاشق بأمّتيار

الكاتب: منير خوري

من يقرأ كتاب "رسائل حب، من انطون سعادة الى ادفيك جريديني" لا بد ان يتساءل: هل هذا هو انطون سعادة الذي نعرف: الزعيم، مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي، ورائد النهضة القومية الاجتماعية التي انضوى تحت لوائها مئات الالوف من المؤمنين باهدافها ومبادئها؟ هل هو انطون سعادة نفسه، المناضل العنيد لاجل قضية، قال عنها انها تساوي الوجود؟ هل هو الرجل ذاته الذي افنى شبابه في سبيل هذه القضية واستشهد لاجلها؟ هل يعقل لهذا الانسان الذي عرف عنه انه لم يصغ يوماً الى صوت سوى صوت العقل - العقل الذي تكرر عنده كمرجع اول واخير لكل التصرفات الانسانية - ان يفسح في المجال للعاطفة - التي تعتبر نقيضاً للعقل - ان تجلس عن يمين قداسة هذا العقل؟ نحن الذين انتمينا الى مدرسة سعادة عرفناه زعيماً بامّتيار، مناضلاً بامّتيار، قائداً وقدوة بامّتيار، وعالماً اجتماعياً وسياسياً وتاريخياً بامّتيار، الا اننا لم يخطر على بالنا قط انه قد يكون ايضاً عاشقاً بامّتيار، عاشقاً بكل جوانحه وعواطفه. قلت عاشقاً بامّتيار! نعم بامّتيار، لان عشقه الذي ظهر في رسائله الى "الحببية" ادفيك امتاز وتميز من سائر الحب والعشق التقليدي الذي عهدناه ونعده بين العشاق التقليديين، حتى ولا ذلك العشق الاسطوري العاطفي الذي غاص في لوجه روميو - جولييت، وقيس - ليلي، وبول - فرجينى، وامثالهم. انك تشعر وانت تقرأ "رسائل حب" بنقاء هذا الحب وطهارته الطفولية، من جهة، ونضجه الرجولي المسؤول، من جهة اخرى. ففي كل رسالة من رسائله الثماني عشرة، دون استثناء، تتجلى فيها رسولية حب، حب مزدوج، حب الحببية وحب الوطن. انه يحاول ان يعطي هذه الحببية - كل حببية - درساً في معنى وقدسية هذا الحب المرادف، لا بل المتوائم مع حب الوطن. لم يتوجه بكلمة عاطفية واحدة دون ان يقربها بكلمة عقلانية مسؤولة. تراه وهو في غمرة نشوته العاطفية ينتقل فوراً الى اقصى الجدية مخاطباً حببيته قائلاً: "علينا ان نفعل كل ما في مقدورنا لنحول دون سقوط امتنا فريسة للمطامع الاجنبية وولايات حرب

فظيحة". كان يؤمن ان: "من وجد الحب فقد وجد اساس الحياة والقوة التي ينتصر بها على كل عدو". ثم تراه يبث حبيبته لواعج حبه ويربطه فوراً بمسؤولية الزواج والتفاني القومي، فيقول: "انني سعيد يا حبيبتى، لان الرابطة بيننا لم تكن مجرد الرغبة في الزواج التي كانت بعيدة عني كل البعد، اذ كنت بكليتي لقضية امتي، لا افكر الا لها ولا يصحني سوى خيالها، فلما اجتمعت بك وتحاببنا وفكرت في الامر قلت في نفسي، سيكون لي شريكة في هذا التفاني القومي". وفي رسالته السابعة عشرة اي ما قبل الاخيرة، يصل هذا العاشق الى ذروة حبه فيقول: "وردتني رسالتك الاخيرة الحلوة، الحاملة وريقات نرجسة متناثرة يضوع شذاها، على صغرها وقلتها، فقبلت هذه الوريقات التي لامست اناملك وشفيتك وتنشقت طيبها الرامز الى طيب انفاسك. وقد سمعت خفقان قلبك يجاوب ضربات قلبي في هدأة الليل في غرفتي". اما في الرسالة الاخيرة، عندما شعر الحبيب، انه لم يعد يستطيع ان يعدل بين حبيبين اتخذ القرار المؤلم الذي فرضته الظروف السياسية وقرار سفره الى خارج الوطن، يختم تلك الرسالة قائلاً: "كل العواطف وكل الاحساسات التي بادلتك اياها تبقى حقيقة". ثم يردف متابعاً: "اود ان نبقى صديقين، بل اني ابقى صديقاً محباً لك تحت كل الظروف، ولا ننسى سورية. اقبلني من هذا البعد قبلة صادقة، وسلامي للجميع، ولتحي سورية". (في 4 ابريل 1938) هذه عينة ولمحة سريعة عن هذا الحب العقلاني الذي بثه انطون سعادة الى حبيبته ادفيك جريديني، والتي اعتبرت في "تصدير" الكتاب ان "رسائل الحب، كالموسيقى الكونية، لها طابع سرمدى النكهة، وهي خمرة معتقة، او ذهب ابريز، لا يزيدا تراكم الازمنة الا توهجا وسحرا... تضمها العذراء المحظوظة بين اوراق الورد وثنايا الحرير، في الخبايا الحميمة، كأن فيها نفحة قدس". "وبين الحين والحين، تؤوب اليها في حذر تستنطق الصفحات الباهتة بأنامل مرتعشة، وبحنين جارف تلتهم سطورها، متأهة على مجد عبر، وكأنه حلم كذوب". "فواعجا لفصول حياتنا المتهاقنة نحو الفناء! كيف تذوي تباعا، لا يسلم منها سوى نتف من ذكريات، قيمتها ان معطرة بالحب. اكون الحب، اذا، وحده الباقي"؟ نعم يا ادفيك، الحب وحده الباقي، خاصة اذا كان من نوع حب انطون سعادة في رسائله اليك.

---